

أبُو ذِرَّ الْخَفَارِيُّ
وَ
الشَّيْعَيَّة

الإمام الأكبر
الدكتور عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر

أبوذر الغفارى
و
الشيوخية



دار المعارف بمصر

الناشر : دار المعارف بصرى - ١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. ٣. ع.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
«وَيَكُونُ أَئِمَّةً لِّلْمُذْكُورَاتِ رَجُلَاتٍ
وَهَيْئَاتٍ لِّمَا مِنْ أُمَّةٍ كَانَ شَكَارًا»



مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين .

وبعد :

فقد كنت من زمن بعيد أسمع أحاديث هنا وهناك عن أبي ذر وصاته بالشيوخية ، أو بالاشراكية ، ودعيت - منذ سنوات عدة - لرؤيه تمثيلية في التليفزيون لأبدى رأي فيها ، فرأيت تمثيلية لا يكاد يعرف كاتبها عن الإسلام شيئاً : لقد شوهدت التاريخ ، وقلبت الحقائق ، وافتقرت على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ... وأبديت رأي إذ ذاك في صراحة تامة ومنع تمثيلها .

ولكنى لم أكن أقدر أنني سأتصل بأبي ذر عن قرب ، أدرسه ، وأتأمله في حياته ، وأكتب عنه . . . ، كان ذلك بعيداً عن تفكيري كل البعد ، . . . وكانت مخططاً . وشاعت المقادير أن أساق سوقاً إلى معركة مع الشيوخية بسبب الكلمة عابرة ، بل أقل من عابرة إذا أمكن أن يقال ذلك ، كتبها عن الشيوخية فكان الرد على هذه الكلمة العابرة أو الأقل من عابرة صفحات من الشتائم والسباب والتهجم على شخصى وعلى ما أمثله من مجال في مجتمعنا الإسلامي .

وفوجئ العالم الإسلامي بهذا الهجوم وانسماز منه ، أما أثره في نفسي فإنه لم يكن غضباً ولا ثورة ولا شتائم ولا لعنات : لقد أنزل الله على قلبي سكينة تامة ،

وغمى شعور بالهدوء ، وسرت في أعمالي التي كنت مستغرقاً فيها وكأن شيئاً لم يحدث ، وكما شكا الإمام ابن مшиش رضي الله عنه ، من برد الرضا ، فقد وجدت في صدري برد الرضا هذا ، ولكن لم أشك منه ، وإنما استغرقت في تفكير مركز في الشيوعية :

وكانت نظرة شاملة بحسب ما عندي من معلومات عنها فأرتني أن الشيوعية تنكيل ، وتعذيب ، وقتل ، وإراقة دماء ، وسلح إذا ملكت وتحكمت ، وهي هجوم وسباب وشتائم لإسكات الأقلام والألسنة إذا لم تكن قد وصلت إلى التحكم والسيطرة .

ورأيت بعد هذا الاستغراق في موضوع الشيوعية الذي كان نتيجة الهجوم على : شتائم وسباباً دون مبرر . . . ، رأيت - من تاريخ الشيوعية الطويل - أنها من أعدى أعداء الإسلام ، كما أنها من أعدى أعداء المسيحية .

وتساءلت : لم سكت علماء الإسلام عنها ؟

لم سكت أخبار المسيحية عنها ؟

بل تسائلت : لم لم أكتب أنا عنها من قبل ؟

لم لم أجعل دراستي لها وبيانها للناس من منهجي في الإصلاح ؟

لم سكتنا عنها هذه السنوات الطوال ؟ مع أنها تسمو المسلمين خسفاً وتنكيلاً وتعادي الإسلام أفعى ما تكون العداوة ، وأقسى ما تكون العداوة : إنها عداوة .. ضاربة .

لقد شغلتنا الأعداء بخلافات ما كان ينبغي أن تكون بين المسلمين يشغلون أنفسهم بها ، تاركين الأعداء يهدمون الدين ، وينكلون بال المسلمين .

هل آن لنا أن نكف عن الحديث عن زيارة القبور ، وعن قراءة سورة الكهف ، وعن الكتابة في الجبر والاختيار ، وعن حمل المسبيحة : فهو بدعة ؟
وعن شد الرحال : وهل يتضمن النهي عن زيارة الأولياء أو لا يتضمنه ؟

هل آن لنا أن نفكر فيمن يريد أن يستأصل الإسلام من أساسه ؟ وأن يأتي عليه من القواعد ، ويعمل جاهداً على إزالته من الوجود ؟
أرجو الله أن ينبه علماءنا الأفاضل ومفكرينا الأجلاء إلى الخطر الآتي من الغرب ، ومن الشرق ، ليتخذوا عدتهم لمقاومته .

وإن من أخطر ما يتهدى : الشيوعية ؛ إنها تهدى في عقيدتنا ، وفي أخلاقنا ، وفي أمولنا ، وفي دمائنا ، ولا بد من مقاومة ذلك على الصعيد القانوني ، وعلى صعيد التوعية الشعبية والجماهيرية ؛ إن كل شخص يعلم حقيقة الشيوعية فإنه يفر منها فراره من الوباء .

وفي أثناء دراستي وبحثي الذي ساقني إليه الشيوعيون سوقاً ما كان يخطر لي على بال ، قرأت عن أبي ذر رضي الله عنه ، قرأت عنه في مختلف المراجع والوثائق ؛ فكان هذا الكتاب .

ودرست الشيوعية في استفاضة ، وكانت التبيعة كتاباً آخر عن الشيوعية نفسها يبين معارضتها للإسلام ، وقد صدرتة - في استفاضة مستفيضة - بظروف وملابسات المعركة التي ساقني إليها الشيوعيون فجأة ، وما كنت أتوقعها :
وفي أثناء البحث هنا وهناك وجدت مجموعة لا يأس بها من فتاوى العلماء الأجلاء فجمعتها ، ونسقتها ، وعلقت عليها ، وأصبحت كتاباً لا يأس به ، هو الكتاب الثالث .

وأحببت أن أجعل هذه الكتب في حجم مناسب حتى تسهل قراءتها ، وحتى يتناول كل إنسان منها ما يناسبه . وما يزال في الكتابة عن الشيوعية مجال مستفيض .
وأرجو الله أن يهدى بهذه الكتب وبما يتلوها وأن يهدى لها إنه سميع قريب مجيب .

مكتبة ملهم



الفصل الأول

أبو ذر والشيوخية من زاوية العقيدة





كانت « غفار » معروفة بأن من فتيانها من كان يسرق الحجاج قبل الإسلام وكان الحجاج يمرون على « غفار » في طريقهم إلى مكة . وما كان فتى « غفار » يتورعون عن بعض المآثم قبل الإسلام ؟ لقد كانوا يسرون سيرة الجاهلية التي حاربها الإسلام إلى أن حولها إلى إسلام .

وهذا هو أبوذر - رضي الله عنه - يمتهن صهوة جواده ، وينخرج فارساً معلماً في جنح من الليل ؛ يذهب هنا ويذهب هناك ، حتى يستقر به المقام على الطريق . كان يلبس ملابس الحرب ، وينخرج كأنه قطعة من فولاد ، أو كأنه أسد هصور ، تسرح عيناه في سكون الليل حتى تستقرا على سواد ، فينطلق إليه بفرسه كالسهم ، ويلت ihm في معركة ، وتكتشف المعركة عن غنية كبيرة : عشرات من الجمال والأغنام يستأها أبو ذر عائداً إلى موطنه :

« كان شجاعاً ينفرد وحده بقطع الطريق ، ويغير على القطيع من الجمال أو الأغنام في عمایة الصبح : على ظهر فرسه أو على قدميه ، كأنه السبع يطرق الحمى وياخذ ما أخذ » .

ولكن هذا الفارس المغير كان يحمل قلباً به شعاع من النور ، وأنخذ هذا الشعاع يقوى حتى أصبح ضوءاً يغمر القلب ، ويتغلب على كل نوازع الشر فيه .

وحدث التحول :

وذات يوم . . وذات يوم انتفض أبو ذر انتفاضة من أعماقه ، انقلب فيها إلى شخصية أخرى ، شخصية بعيدة كل البعد عن الجاهلية ، شخصية لا صلة لها ب الماضي . . .

وهذا النمط من التحول معروف في الإنسانية ، ومعرف في عالمنا الإسلامي : ولكن انتفاضة أبي ذر لم تكن تحولاً من جاهلية إلى دين معروف ، وإنما كانت - وهذا من طرائفها - تحولاً من جاهلية إلى دين فطري : إلى فطرة الله التي فطر الناس عليها ، إلى خلق لا ظلم فيه ، إلى عبادة نابعة من تقدير للخالق ! كان أبو ذر يتأنه في الجاهلية ويوحد ، ولا يعبد الأصنام .
ومعنى « يتأنه » : يتتبّل ويتبع .

وكان أبو ذر في صفاء نفسه ، وفي نقاء فطرته ، يتجه إلى الله في صدق ، يطلب نور الهدى ، والتوجه به إلى الصراط المستقيم . . وذات يوم : وذات يوم سمع أبو ذر عن النور أشراق مكة ، وعن الهدى انبثقت في أرض الحرم ، وسمع بالرسالة أضياعت على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبالفضل الإلهي يشرق على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ، فغمزه السبورة ، وهزه الشوق إلى المعرفة ، ولم يلبث أن أرسل أخاه إلى مكة ، واستعجله السفر ، ورغب إليه في أن يأتيه بالخبر في سرعة ، وأخذ يتضرر متلهفاً متشوقاً ، وجاءه أخوه ، وأعلن أن رسول الله - الرسول الجديد - يأمر بمكارم الأخلاق وقد كان هذا حقاً محور الدعوة الإسلامية :

« إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

وسأله أبو ذر عن موقف المشركين منه ؟ فقال له أخوه :

يقولون : هو ساحر ، ويقولون : هو كاهن ، ويقولون : هو شاعر !

ثم يقول أنيس :

لقد سمعت قول الكهنة ، وما هو بقولهم ، ولقد وضحت قوله على أقوال الشعراء
— وكان أنيس شاعراً — فما يلائم على لسان أحد أنه شعر ..

ثم يقول : « والله إنه لصادق ، وإنهم لكاذبون » !

ولكن ذلك لم يرو ظمآن أبي ذر إلى المعرفة ، وغمراه الشوق إلى المعرفة المباشرة
بهذا الرسول الموحى إليه ..

والثقة بالرسول :

والثقة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمن ، واستقر الإيمان في أعماق قلبه
واستولى على شعوره ووجدانه ، فذهب إلى الكعبة ، ورؤوس الشرك مجتمعون ،
وعلى وجوههم علامات الكفر والشرك : قسوة ظاهرة ، وغلظة بادية ، وعدم
مبالة بقيم أو أخلاق أو مثل ، وابتسمة ساخرة بكل ضعيف ، ونادي أبو ذر
بأعلى صوته :

«أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن سيدنا محمد رسول الله» !

وفوجئ الشرك بصوت يرتفع بالتوحيد ، واعتقد المشركون أن هذه إهانة
لا يمسحها إلا الدم ، فقاموا إليه ، فقاومهم ، وتکاثروا عليه ، وتنافسوا في ضربه .. .
ولقد ضرب — كما يقول ... ليموت ، وأدركه العباس ، وقال لقريش :
«وليكم تشنلون رجالا من «غفار» ، ومتجركم وميركم على «غفار»؟! وتركوه ،
ولكته خرج من تحت أيديهم كأنه نصب «تمثال» أحمر ..!
ولكته فكر من جديد بعد أن ذهب إلى زمزم واغتسل : وماذا في مكره
يصيب الإنسان في سبيل الله؟

فعاد في اليوم التالي وصرخ بأعلى صوته :

«أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن سيدنا محمد رسول الله» وقاموا إليه ضرباً
وإيذاء ، حتى جعلوه كأنه نصب أحمر ، وضربوه ليموت وأنقذه العباس من جندياً !

هذا الإيمان القوى ، هذا النور المشتعل في القلب ، هذه الثقة المطلقة في الله ورسوله .

هذه التضحية والاستعداد للتضحية حتى الموت في سبيل الله :
«أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله !»

ماذا يقابلها في الجو الشيوعي ؟

لقد بدأ الكفر بالدين مع «ماركس» منذ ابتداء الشيوعية ! فقد قال ماركس كلمته المشهورة : «إن الدين أفيون الفقراء» .

أى إنه يخدرهم ويعدهم وينهيهم ، ويتحدث إليهم عن الله ، وعن الحساب ، والنعيم في الآخرة .

وهو من هذا الجانب عامل تحدير يتم في الجو الاجتماعي .

ولقد تلقف «لينين» هذه الكلمة لكارل ماركس ، وأعلن أن هذه الكلمة هي حجر الزاوية في الفلسفة الماركسيّة فيما يتعلق بالدين ، إنه يقول حرفيًّا : «قال ماركس : إن الدين هو أفيون الفقراء ، وهذا هو حجر الزاوية في الفلسفة الماركسيّة جميعها من ناحية الدين

وتعد الماركسيّة الديانات جميعها ، والكنائس ، وكل أنواع المنظمات الدينيّة ، آلة لرد الفعل البرجوازي الذي يستهدف الاستغلال بتحدير الطبقة العاملة » .

وفي المقدمة التي كتبت لكتاب «لينين» ما يلي نصًّا :

«الإلحاد جزء طبيعي من الماركسيّة لا ينفصل عنها» .

وتناول أقوال الشيوعية عن الدين :

يقول «لونا شارسكي» الذي كان وزيراً للتعليم يوماً ما في حكومة الشيوعيين : نحن نكره المسيحية والمسيحيين ، وحتى أحسن المسيحيين خلقاً نعتدّ شر أعدائنا - وهم يبشرون بحب الجيران والعطف والرحمة ، وهذا يخالف مبادئنا ، والحب المسيحي عقبة في سبيل تقدم الثورة ، فليسقط حبنا لجيراننا ، فإن ما نريده

ـ هو الكراهة والعداوة ، وحين ذلك نستطيع غزو العالم » !
إن تبشير المسيحية أو - بتعبير آخر - تبشير الأديان بحب الجيران والعطف
والرحمة يثير الكراهة في نفس الشيوعى : إذ أنه لا يعرف إلا الحقد والكراهة
والعداوة لايستطيع - فيما يزعم - غزو العالم .

والزعيم الشيوعى لينين يعلن في وضوح سافر عن الصلة بين الدين والشيوعية
بكلمات قليلة حاسمة ، إنه يقول :

ـ « والماركسية : هي المادية ، وهي من ثم معادية للدين ».
أما البرنامج الذى وضع للمؤتمر الدولى الشيوعى السادس الذى عقد فى
سنة ١٩٢٨ فإنه يقول حرفياً :

ـ « إن الحرب ضد الدين - وهو أفيون الشعوب - تشغل مكاناً هاماً بين
أعمال الثورة الثقافية ، ويلزم أن تستمر هذه الحرب بإصرار وبطريقة منظمة »
ولا يكاد « لينين » يمل الحديث عن الأديان ووجوب تحطيمها ، إنه يتحدث
عنها بمناسبة وبدون مناسبة ، ولقد كتب في يوم خطاباً للكاتب الروسي : « مكسيم
جوركى » يقول فيه :

ـ « إن البحث عن الله لا فائدة فيه ، ومن العبث البحث عن شيء لم تضمه
في مكان تخبيه فيه ، وبدون أن تزرع لا تستطيع أن تحصد ، وليس لك إله :
لأنك لم تزرعه بعد ، والآلة لا يبحث عنها وإنما تزرع ، يخلقها البشر ، ويلدها
المجتمع ». !

ـ وبما سبق نرى :

ـ أن الشيوعية في العقيدة مناقضة للإسلام مناقضة تامة !
ـ والآن نتساءل : ما هي الصلة بين أبىذر والشيوعية ؟
ـ والإجابة معروفة واضحة :
ـ إنها الصلة بين الإيمان والكفر .

الصلة بين الإسلام والإلحاد !
ما نصيب الشيوعية في أبي ذر لو علم بها ؟
إن نصيتها منه اللعنة !
وإن نصيتها من العداوة إلى حد السيف !
وإن نصيتها منه مقت المؤمن لمن يجاد الله ورسوله !
وإذا كان هذا الموقف بالنسبة للعقيدة ، فما هو الموقف بالنسبة للأخلاق ؟
ذلك موضوع له مكانه إن شاء الله .





الفصل الثاني

الزاهد





إننا نحبه : ونحب فيه الإيمان القوي الذي لا يخاف في الله لومة لائم
ونحب إخلاصه الذي كان يحمله على النصيحة للطاغعن والمقيم . .
ونحب حدته التي جعلت بعض الحلماء يتتجنبونه : نحبها لأنها لم تكن
مفعولة ، وإنما كانت طبيعة فيه ، وكانت حدة ناشئة عن قلب طاهر ، وكانت
حدة لا يتبعها شر أو سوء ، وكان إذا نبه إليها تنبه فتاب وأناب ، من ذلك مثلا
ما روى عن المعرور بن سود قال :

« نزلنا الرينة ، فإذا برجل عليه برد وعلى غلامه مثله ، فقلنا : ألا عملتما
حلاة لك واشتريت لغلامك غيره ، فقال : سأحدثكم :

كان بيني وبين صاحب لي كلام ، وكانت أمه أعمجية ، قلت منها ،
فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : سأبكي فلانا ؟ . . قلت : نعم . . قال :
ذكرت أمه ؟ قلت : من سبب الرجال ذكر أبوه وأمه . . فقال : إنك أمرت
فيك جاهلية - وذكر الحديث - إلى أن قال : إخوانكم ، جعلهم الله تحت
أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه من طعامه ، ويلبسه من لباسه ،
ولا يكلفه ما يغلبه » .

ولقد كان - كما يقول الإمام الذهبي - أحد السابقين الأولين من نجباء
 أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . .

وكان كما يقول الناهي أيضاً « رأساً في الزهد والصدق والعلم والعمل ، قوله
بالحق لا تأخذنـه في الله لومة لائم ، على حدة فيه » .
ونحبـه لحبـه لرسول الله صلـى الله علـيه وسلم .
ونحبـه لالتزامـه فروض الإسلام ونوافـله .
ونحبـه لفروسيـته وشجاعـته . . .
لقد كان إيمانـه ينطـاق به إلى كل معرـكة في شـجاعة نـادرة . . . ومـم يخـاف وقد
وهـب نفسه للـله ورسـولـه ؟ يقول الـواقـدـي :
« كانـ حـامـلـ رـاـيةـ غـفارـ يومـ حـنـينـ : أـبـوـ ذـرـ »
ونـحبـ طـرـيقـةـ حـيـاتـهـ منـ قـبـلـ النـبـوـةـ ، فـإـنـ مـنـ حـدـيـثـهـ مـعـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ الصـامـتـ
قولـهـ :

« وـقـدـ صـلـيـتـ يـاـ اـبـنـ آـخـىـ قـبـلـ أـنـ أـتـىـ زـسـولـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ثـلـاثـ

سـيـنـ

قـلـتـ : مـنـ ؟

قـالـ : اللـهـ .

قـلـتـ : أـينـ تـوـجـهـ ؟

قـالـ : حـيـثـ وـجـهـ اللـهـ ، أـصـلـىـ عـشـاءـ حـتـىـ إـذـاـ كـانـ مـنـ آـخـرـ اللـيلـ أـفـيـتـ
نـفـسـيـ كـائـنـ خـفـاءـ (ثـوـيـ مـلـقـ) حـتـىـ تـعلـوـنـ الشـمـسـ
أـمـاـ قـصـةـ إـسـلـامـهـ فـإـنـهاـ طـرـيقـةـ ، وـعـنـهاـ يـقـولـ :

« كـنـتـ رـبـعـ إـسـلـامـ ، أـسـلـمـ قـبـلـ ثـلـاثـةـ نـفـرـ وـأـنـ أـلـارـابـ ، أـتـيـتـ رـسـولـ اللـهـ
صلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـقـلـتـ : السـلـامـ عـلـيـكـ يـاـ رـسـولـ اللـهـ ، أـشـهـدـ أـنـ لـاـ إـلـهـ إـلـاـ اللـهـ
وـأـنـ مـحـمـداـ رـسـولـ اللـهـ . . فـرـأـيـتـ الـاسـتـبـشـارـ فـيـ وـجـهـ رـسـولـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ
وـحـدـيـثـ إـسـلـامـ أـبـيـ ذـرـ - رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ - حـدـيـثـ مـسـتـفـيـضـ جـلـيلـ -
رـوـتـهـ كـتـبـ السـنـةـ المـوـثـقـ بـهـ ، أـمـثالـ الـبـخـارـيـ وـمـسـلـمـ وـغـيـرـهـماـ .

ولقد روت هذه الحدث في زواياه المختلفة ، الثرية بالعبر والمواعظ ، وذلك
أنه لما بلغ أبا ذر مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأخيه أنس : « اركب
إلى هذا الوادي فاعلم لي حلم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتبه الخبر من السماء
فاسمع من قوله ثم اثنى ... ولكن أبا ذر لم يكتف بخبر أخيه .

فقال له : هل أنت كافى حتى أتعالق ؟ قال : نعم . ولكن من أهل مكة على
حدار ، فإنهم قد شنعوا له ، وتجددوا له . . .

فتر棹 ، وحمل شنته له نسها ماء حتى قدم مكة ، فأدى المسجد ، فالتحمس
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو لا يعرفه . واتبع نصيحة أخيه في لا يسأل
عنه ، وأن يحضر أهل مكة ، حتى أذكه بعض الليل ، فاضطاجع لينام ، فرأاه
سيدهنا على ، فعرف أنه غريب ، فدعاه إلى المبيت عنده ، فتباه ولم يسأل واحد
منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح ، ثم احتتمل قربته وزاده إلى المسجد ، وإنما
ذلك اليوم ، فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى أمسى ، فعاد إلى مساجده .
فهر بد على فقال :

« أما آن للرجل أن يعرف منزله ؟ وسار به إلى المزار : لا يسأل واحد عنه . . .
صاحب عن شيء ، ومر اليوم الثالث على هذه الكيفية . . فلما كان في المبيت
سأله على رضي الله عنه قائلاً : ألا تحدثني بالذى أقدمك ؟

قال : إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدنى فعلت ، ففعل فأخبره . .

وفى الصباح ذهبـا - على حدـر - إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
وأخذ أبو ذر يستمع إلى القرآن الكريم ، فأسلم فى جلسته ، فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم :

« ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمرى » . فقال : (والذى بعثك
بالحق لأصرخـنـ بها بين ظهيرـاـ لهم) فخرج حتى أتى المسجد ، فنادى بأعلى صوته :
(أشهد أن لا إله إلا الله . . وأن محمداً رسول الله) .

فقام إليه الحاضرون فاشتبكوا معه في معركة حامية ، واستمروا به حتى رموه أرضاً ، فأطلق العباس وأنقذه منهم .. ولكن عاد في الغد إلى مثلها ، وعادوا إلى مثل ما فعلوه .. وأنقذه من جديد العباس ، وعاد أبو ذر إلى أخيه وأعلن إسلامه ، فأسلم أخوه ، وذهبوا إلى أمهما فأعلنت إسلامها ، وأنحد أبو ذر يبشر بالإسلام في قومه ، رضي الله عنه .

.. ولقد روى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه جموع كثير من الصحابة ، ومن الأحاديث المشهورة الجميلة النفيسة التي رواها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن الله تبارك وتعالى أنه قال :

يا عبادي ، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته محرباً فلا تظالموا ..

يا عبادي ، كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم ..

يا عبادي ، كلكم جائع إلا من أطعمنه فاستطعموني أطعمكم ..

يا عبادي ، كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم ..

يا عبادي ، إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم ..

يا عبادي ، إنكم لن تبلغوا ضري فتضرونني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ..

يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم ، وإنكم وجنكم ، كانوا على أدق قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ..

يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم ، وإنكم وجنكم ، كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً ..

يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم ، وإنكم وجنكم ، قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان اسئلته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل البحر ..

يا عبادي ، إنما هي أعمالكم ، أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد

خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه . . .

وعنه . . عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

«أوصاني خليلي بخمس : أرحم المساكين وأجالسهم ، وأنظر إلى من تحتي ولا أنظر إلى من فوق ، وأن أصل الرحم وإن أدبرت ، وأن أقول الحق وإن كان مرّاً ، وأن أقول لا حول ولا قوّة إلا بالله » . .

وعنه قال :

«أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بسبع : أمرني بحب المساكين . . والدنون منهم ، وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني وألا أسأل أحداً شيئاً ، وأن أصل الرحم وإن أدبرت ، وأن أقول الحق وإن كان مرّاً ، وألا أخاف في الله لومة لائم ، وأن أكثر من قول : لا حول ولا قوّة إلا بالله ، فإنها من كثر تحت العرش » .

كان أبو ذر زاهداً جميلاً ، وكان يحب للناس الخير ، فكان يدعوهم إلى الزهد حتى لا يكون حسابهم على المال ثقيلاً يوم الحساب ، وذلك أن الإنسان يسأل يوم القيمة عن ماله : فيه أتفقه ؟

وكان أبو ذر يحب أن يمر المسلمين على الصراط خفافاً ، وألا يكون المال عقبة في سبيل تيسير الحساب . .

وكما أحب الخير لنفسه ، والتزم أن يختزن ما يكفيه وأسرته العام كاملاً وأن يتصدق بما فضل عنده ، ويفعل ذلك كل عام ، ويقتنى أعزّاً ودواب يحلب منها ويشرب ، ويهب ويتصدق ، فإنه كان يحب ذلك لأصحابه عن سعيد بن أبي الحسن .

أن أبا ذر كان عطاوه أربعة آلاف ، فكان إذا أخذ عطاوه دعا خادمه فسأله أن يكفيه السنة فاشتراه ، أما باقي الأربعة آلاف فإنه كان يحوطها إلى «فلوس» أى «فكة» ليست ذهباً ولا فضة . . وكانت نظرة أبي ذر في ذلك

أنه كان يبيع نفسه أن يدخل (فلوساً) قروضاً وملايم ، على حد تعبيرنا في العصر الحاضر ليست ذهبأ ولا فضة ، وإنما من معدن آخر ، وكان لا يرى في ادخار ذلك لنفسه بأساً ، ولعله إنما كان يفعل ذلك لينفق على أكبر عدد من الفقراء .

وبلغ الرهد بأبي ذر منهاه : فعن أسماء رضي الله عنها قالت :

«إن أبا ذر كان يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا فرغ من خدمته أوى إلى المسجد وكان هو بيته» .

وحيينا كان في الشام كان هو وأبو الدرداء في مظلتين من شعر بدمشق . .

ومر يوماً بأبي الدرداء وهو يبني مسكنًا في أبسط صور المساكن فضاق به

أبوزر وقال له :

ما هذا؟ .. تعمد داراً أذن الله بخراها؟

وقال كلاماً آخر شديدآ . .

ومع أن عطاء أبي ذر كان أربعة آلاف في العام ، وكان يقبضها ، فإنه لما مات لم يترك إلا أثاني وخماد وأعزاً وركائب ، كما ذكر ذلك ابن أخته ،

بيد أن طريقته في الحياة هذه كانت أحياناً لا تواتيه بما يحب ، فقد كان يقول :

أبطأت في غزوة تبوك من عجف بعيري . .

وعن ابن مسعود قال :

لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك جعل لا يزال يختلف الرجل ،

فيقولون : يا رسول الله ، تختلف فلان ، فيقول : دعوه ، إن يكن فيه خير فسيلهمكم ،

وإن يكن غير ذلك فقد أراحكم الله منه ، حتى قيل ، يا رسول الله تختلف أبو ذر وأبطأ

بعيري ، فقال ما كان يقوله ، وتلوم (أبطأ) بعيري أبي ذر ، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه

فجعله على ظهره ، وخرج يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونظر ناظر فقال :

إن هذا الرجل يعيش على الطريق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كن أبا ذر . .

فلما تأمله القوم قالوا : هو والله أبو ذر . . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رحم الله

أبا ذر ، يخشى وحده ، ويئوت وحده ، وينبعث وحده . .
ومع قوة أبي ذر في بدنـه ، ومع فروسيـته وشجاعـته ، فقد قال له رسول الله
صلـى الله عـلـيـه وـسـلـمـ : .

يا أبا ذر ، إـنـي أـراك ضـعـيفـاً .

قال له ذلك حين طلب أبوذر الإمارة . .

ثم نصـحـه صـلـى الله عـلـيـه وـسـلـمـ قـائـلاـ :
لا تـأـمـرـنـ على اثـنـيـنـ ، ولا تـوـلـيـنـ مـالـ يـتـيمـ .
ويـعـقـبـ الإـمامـ الـذـهـبـيـ عـلـىـ ذـلـكـ قـائـلاـ :

« فـهـذـا مـحـمـولـ عـلـىـ ضـعـفـ الرـأـيـ ، فـإـنـهـ لـوـ مـالـ يـتـيمـ لـأـنـفـقـهـ كـلـهـ فـيـ
سـبـيلـ الـخـيـرـ وـلـتـرـكـ الـيـتـيمـ فـقـيرـاً . . فـقـدـ ذـكـرـنـاـ أـنـهـ كـانـ لـاـ بـسـتـجـيـزـ دـخـارـ النـقـدـيـنـ ،
وـالـذـىـ يـتـأـمـرـ عـلـىـ النـاسـ يـرـيدـ أـنـ يـكـونـ فـيـهـ حـلـمـ وـمـدـارـاـةـ ، وـأـبـوـ ذـرـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ
كـانـتـ فـيـهـ حـدـةـ كـمـاـ ذـكـرـنـاـهـ فـنـصـحـهـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ . . »

ومذاهب الناس الفردية في الحياة - ما دامت خالية من المعاصي - فإنها
مباحة للأفراد كأفراد :

ومباح للأفراد كأفراد أن ينصحوا ويبينوا العطـاتـ والـعـبـرـ فـيـ مـحـيـطـ هـذـهـ
الـحـيـاـةـ ، سـوـاءـ أـخـذـ النـاسـ بـهـ أـمـ لـمـ يـأـخـذـوـ . .

وإـذـاـ كـانـ ذـلـكـ مـذـهـبـ أـبـيـ ذـرـ الـذـىـ يـشـبـهـ - مـعـ فـارـقـ الـإـيمـانـ وـالتـقـوىـ -
مـذـهـبـ زـهـادـ الـفـلـاسـفـةـ فـيـ الـعـصـبـورـ الـقـدـيـمـةـ وـالـحـدـيـثـةـ ، وـالـذـىـ غـايـتـهـ هـدـوـءـ الـبـالـ
وـالـرـاحـةـ فـيـ الدـنـيـاـ عـنـدـ الـفـلـاسـفـةـ ، وـالـرـاحـةـ فـيـ الدـنـيـاـ وـالـآـخـرـةـ عـنـدـ أـبـيـ ذـرـ ،
فـإـنـ لـلـأـفـرـادـ - كـأـفـرـادـ - مـذـاهـبـ أـخـرىـ ، وـلـلـإـسـلـامـ جـوـهـ الواـضـعـ فـيـهـ يـتـعـلـقـ بـشـئـونـ
الـمـالـ . . وـسـتـتـحـدـثـ عـنـ ذـلـكـ إـنـ شـاءـ اللـهـ تـعـالـىـ . . وـلـكـنـتـاـ نـحـبـ أـنـ نـقـولـ :
إـنـ أـبـاـ ذـرـ كـانـ يـنـصـحـ وـيـعـظـ : لـيـقـبـلـ النـاسـ عـلـىـ الـبـذـلـ مـخـتـارـيـنـ ، وـمـاـ كـانـ يـدـورـ
بـخـلـدـهـ قـطـ أـنـ يـقـهـرـ وـيـغـتـصـبـ ، بـلـ إـنـهـ لـوـ رـأـيـ الـاغـتـصـابـ وـالـقـهـرـ لـقاـومـهـ بـسـيفـهـ

وأضحى في سبيل وقفه بنفسه : فإنه ما كان يرضى بالظلم :
وإذن هو بعيد كل البعد عن كل المذاهب الحديثة ، وليس للمذاهب
الحديثة فيه من نصيب اللهم إلا حينما تلقي الآراء ، وترىيف الحقائق ، وستزيد
الأمر وضوحاً إن شاء الله تعالى :





الفصل الثالث

أبودر والنظام المالي في الإسلام



عن الموقف الإسلامي

و قبل أن نتحدث عن الجو المالي في الإسلام نحب أن نقول :

- ١ - إن أبا ذر - رضي الله عنه - من الذين أعلنوا في وجه الطغاة من أهل مكة إيمانهم اليقيني بالله ورسوله ، وإنهم انهالوا عليه ضرباً حتى خرج من تحت أيديهم وأرجلهم كأنه - كما يقول : - نصب أحمر - ولم يمنعه ذلك من أن يعود في اليوم الثاني فینادی من جديد في وجه الطغاة : «أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدأ رسول الله ».

ونال مثل ما ناله في اليوم السابق ..

وكان على استعداد لأن يعلن بالشهادتين كل يوم في وجه كل طاغية : ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم منعه .. لقد كان مؤمناً .

٢ - بل لقد كان رابع الإسلام أو خامسه على اختلاف في الرواية .

٣ - وملكت عليه شعائر الإسلام سمعه وبصره ، وشعوره وقلبه ، فكان يؤديها كما رآها آلافاً من المرات في سلوك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٤ - وكان ناصحاً لا يهدأ .

٥ - وكان زاهداً ، بل رأساً في الزهد ، وزهده والزهد الذي كان يدعوه إليه، إنما ، كان زهد المتجرد़ين ، وزهد المتجردِين هو الزهد الاختياري : أي الزهد مع قدرة الإنسان على الكسب .. إنه زهد تحرر فيه الزاهد بمنتهى حرفيته من شهوات

الدنيا ، لم يخبره أحد على الزهد ، ولم يجرده أحد من مال - وزهده ، ودعوته إلى الزهد ، كل ذلك لا يمت بصلة إلى استعمال القوة والقهر في الاستيلاء على المال ..

وموقف المسلم من أسلوب القهر والاغتصاب واضح كل الوضوح ، وعلى الرغم من مئات الأدلة والنصوص المبينة لموقف الإسلام ، فإننا نكتفى بما يلي :

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

«من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين» رواه البخاري ومسلم

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

«من أخذ من الأرض شبراً غير حقه طوقه من سبع أرضين» رواه أحمد

وفي رواية مسلم :

«لا يأخذ أحد شبراً من الأرض بغير حقه إلا طوقه الله .. إلى سبع أرضين يوم القيمة» .

وروى البخاري وغيره عن ابن عمر قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم :

«من أخذ من الأرض شبراً بغير حقه خسف به يوم القيمة إلى سبع أرضين» .

وعن أبي مالك الأشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أعظم الغلول عند الله عز وجل ذراع من الأرض ، تجدون الرجلين جارين في الأرض أو في الدار فيقطع أحدهما من حظ صاحبه ذراعاً ، إذا اقتطعه طوقه من سبع أرضين» ، رواه أحمد بإسناد حسن والطبراني في الكبير.

وعن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«من غصب رجلاً أرضاً ظلماً لقى الله وهو عليه غضبان» . رواه الطبراني .

وعن الحكيم بن الحارث السلمي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«من أخذ من طريق المسلمين شبراً جاء به يوم القيمة يحمله من سبع أرضين» .

رواه الطبراني في الكبير والصغير .

وعن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يحل لمسلم أن يأخذ عصا مسلم بغير طيب نفس منه ، قال : ذلك لشدة ما حرم الله من مال المسلمين على المسلم ». رواه ابن حيان في صحيحه .

وما كان أبوذر رضي الله عنه -- والأمر كذلك -- يرضي لا ، ولا قلامة ظفر أن تغتصب أرض أحد أو أن يغتصب منه ثبر ، ولو حدث ذلك في عهده لثار ثورة عارمة فيها الإخلاص ، وفيها الإرادة العازمة ، وفيها الحدة التي اتسم بها ، وذلك لأنها تخالف ما عرفه من الإسلام .

وإذا كنا قد تحدثنا عن الاغتصاب ، فإننا نحب الآن أن نتابع الحديث عن بعض جوانب من الجو الإسلامي بالنسبة للمال .

وهذا الجو الإسلامي الواضح أبان عنه القرآن بلسان عربي مبين ، وطبق هذا الجو الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون من بعده : أبو بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، وذو التورين عثمان ، وفارس الإسلام وعالمه وزاهده علي - كرم الله وجهه ، والصحابة رضوان الله عليهم ، والتابعون ، وتابعو التابعين ، وهكذا إلى اليوم .

وهذا الجو هو أن المال لله تعالى قد استختلفنا فيه وهو الذي آتناه المال : إنه المانع المعطى ، وهو الوهاب الرزاق .

وهو سبحانه الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدره لمن يشاء :

« قُلْ اللَّهُمَّ مَا لِكَ الْمُلْكُ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ، وَتَرْتَبِعُ
الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ، وَتَعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتَذَلِّلُ مَنْ تَشَاءُ ، بِيَدِكَ الْخَيْرُ ،
إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ
وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيْتِ وَتُخْرِجُ الْمَيْتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزَقُ مَنْ
تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ » . [آل عمران ٢٦]

وقد وضع الله سبحانه :

- ١ - قواعد لكسب المال .
 - ٢ - قواعد لطهر المال .
 - ٣ - قواعد للأغنياء الذين آتاهم المال .
- ونظم الأمر في كل ما يتعلق بالمال : تجارة وزراعة وإيجارة وبيعاً وشراء وكتابة للدين . . . إلخ . .

* * *

أما قواعد كسب المال فإنها تكاد تتلخص في كلمة : الحلال : أن يكون المال حلالاً لا شبهة فيه . . ولقد شدد الإسلام كثيراً في اشتراط أن يكون الكسب من حلال .

عن ابن عباس - فيما أخرجه الحافظ ابن مardonيه - قال : تليت هذه الآية عند النبي - صلى الله عليه وسلم :

«يَأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا» .

فقام سعد بن أبي وقاص فقال : يا رسول الله ، أدع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة ، فقال :

«يا سعد : أطيب مطعمك تكون مستجاب الدعوة ، والذى نفس محمد بيده إن الرجل ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه أربعين يوماً ، وأياماً عبد نبت لحمه من السحت والربا فالنار أولى به . .» .

وروى أحمد ومسلم والترمذى عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يا أيها الناس ، إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال :

« يَا يَهَا الرَّسُولُ كُلُوا مِنَ الطَّيْبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلَيْمٌ » . . . وَقَالَ : « يَا يَهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيْبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ » . . .

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعت أغبر يمد يديه إلى السماء : يا رب . . . يا رب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذى بالحرام ، فأنى يستجاب لذلك . . .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ ، وَإِنَّ اللَّهَ يَعْطِي الدُّنْيَا مِنْ يَحْبُّ وَمَنْ لَا يَحْبُّ ، وَلَا يَعْطِي الدِّينَ إِلَّا مَنْ يَحْبُّ ، فَمَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ الدِّينَ فَقَدْ أَحَبَّهُ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْلِمُ عَبْدٌ حَتَّى يَسْلِمَ قَلْبَهُ وَلِسَانَهُ ، وَلَا يُؤْمِنُ حَتَّى يُؤْمِنَ جَارُهُ بِوَاقِفِهِ » .

قالوا : وما بواقفه ؟ قال : غشه وظلمه ، ولا يكسب عبد مالا حراماً فيتصدق به فيقبل منه ، ولا ينفق منه فيبارك له فيه ، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، إن الله تعالى لا يمحو السيئ بالسيئ ، ولكن يمحو السيئ بالحسن ، إن الخبيث لا يمحو الخبيث ». رواه أحمد وغيره .

وعن معاذ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَا تزالَ قَدِمًا عبدَ يوْمِ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَسْأَلَ عَنْ أَرْبِعَةِ : عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا أَعْمَلَ فِيهِ ؟ » رواه الترمذى وصححه والبيهqi . . .

وعن التعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الْحَلَالُ بَيْنَ ، وَالْحَرَامُ بَيْنَ ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ، فَمَنْ أَتَقَ الشَّهَابَاتِ أَسْتَبَرَ لِدِينِهِ وَعَرَضَهُ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشَّهَابَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ » .

كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله معارضه ، ألا وإن في الجسد مضحة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسديت فسد الجسد كله ألا وهي القلب ». رواه البخاري ومسلم والترمذى ولفظه :

الحلال بين والحرام بين ، وبين ذلك أمور مشتبهات لا يدرى كثير من الناس أمن الحال هى أم من الحرام ؟ فمن تركها استبراً لدینه وعرضه فقد سلم ومن واقع شيئاً منها يوشك أن ي الواقع الحرام ، كما أنه من يرعى حول الحمى أوشك أن ي الواقعه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله معارضه .

وفى رواية لأبي داود والنسائى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الحال بين ، والحرام بين ، وبينهما أمور مشتبهات ، وسأضرب لكم فى ذلك مثلاً إن الله حمى حمى ، وإن حمى الله ما حرم ، وإن من يرتع حول الحمى يوشك أن يخالطه ، وإن من يخالط الريبة يوشك أن يخسر ». وما يتصل بذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

« لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا ، فأنزل الله عز وجل : « ويل للمطاففين » فلحسنوا الكيل بعد ذلك . رواه ابن ماجه وابن حبان والبيهقي .

وما يتصل بذلك أيضاً عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « التاجر الصدق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء » رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

وأخذ المسلمون فى إطار المبادئ الإسلامية يعملون فى جد لكسب العيش ، ولاستثمار المال : كانوا يتاجرون ويزرون ويسافرون بالتجارة هنا وهناك ، أو يرسلون من يقوم عنهم بالتجارة فى أماواهم .

ومن المعروف أن المهاجرين أتوا إلى المدينة وليس في أيديهم شيء من المال . . .
وحيثما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الأنصار والمهاجرين عرض
الأنصار على المهاجرين أن يتقاسموا الأموال ، فعف المهاجرون في كرامة كريمة
ونشكر صادق ، عن هذا العرض ، وأخذنا يعملون مباشرة في كسب عيشهم
ونذكر كمثال مایل :

روى البخاري بسنده عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال :
« لما قادمنا المدينة آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبين سعد بن الربيع ،
فقال سعد بن الربيع : إن أكثر الأنصار مالا فأقسم لك نصف ماله ، وانظر
أى زوجتي هويت نزلت لك عنها فإذا حللت تزوجتها ، فقال له عبد الرحمن :
لا حاجة لي في ذلك هل من سوق فيه تجارة ؟ قال : سوق بنى قينقاع . . فغدا
إليه عبد الرحمن بأقطعه (بن جامد) وسمن ، ثم تابع الغدو ، فما لبث أن جاءه
عبد الرحمن عليه أثر صيغرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تزوجت ؟
قال : نعم . قال : « ومن ؟ قال : امرأة من الأنصار . قال : « كم سقت ؟ »
قال : زنة نواة من ذهب - أو نواة من ذهب . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم :
« أو لم ولو بشاة » .

أخذ المسلمون يعملون في كسب المال تحت سمع الرسول صلى الله عليه
 وسلم وبصره ، وأثري الكثير منهم ثراء عظيما ، فلم ينههم رسول الله صلى الله عليه
 وسلم عن الأزيدية ولم يأمرهم بالوقوف عند حد في التجارة والكسب .

ولقد بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة من أصحابه بالجنة هم :
أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلى بن
أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة بن عبيد الله ،
 وأبو عبيدة بن الجراح ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعید بن زید بن عمرو بن نفیل . . .
 وإذا نظرت إلى هؤلاء العشرة نظرة متأنية رأيت أنهم لم يكونوا جمِيعاً من

القراء ، ولم يكونوا جميعاً من الأغنياء ، ولم يكونوا جميعاً من متوسطي الحال ، وإنما كان منهم الغنى ومنهم الفقير والمتوسط .

ولكن هذه النظرة تبين أمرتين سافرين :

١ - التقوى : والله سبحانه وتعالى يقول :

«إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاءِكُمْ» .

والتي هو الحافظ على حدود الله عقيدة وشريعة وأخلاقاً ونظاماً للمجتمع .

٢ - الجهاد : الجهاد بجميع ضروريه :

(أ) جهاد النفس للتراكى .

(ب) جهاد الأسرة لتنقيمه ، وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته .

(ج) الجهاد في المجتمع حتى يقوم على أمر الله عقيدة وشريعة ، وأخلاقاً ونظاماً اجتماعياً .

ولكن الأمر ، فيما يتعلق بصلة العشرة المبشرین بالجنة بمال ، ما زال في حاجة إلى إيضاح ، ومن أجل ذلك نكتب الفصل التالي حتى نرفع الالتباس الذي وقع فيه بعض من لا يفقهون .

مكتبة مكتبة مكتبة

المجتمع الإسلامي والمال

ولزيادة وضوح الأمر في بيان الجو الإسلامي بالنسبة للمال نحب أن نتحدث عن شخصيتين من العشرة المبشرين بالجنة ، أما أو وهما فهو :

* **البليونير الصالح عبد الرحمن بن عوف :**

أحد العشرة ، وأحد الستة أهل الشورى ، وأحد السابقين البدريين ،
وأحد الثنائيه الذين بادروا إلى الإسلام ..

ومن مناقبه رضي الله عنه :

أن النبي صلى الله عليه وسلم شهد له بالجنة .

وأنه من أهل بدر الذين قيل فيهم : اعملوا ما شئتم .

ومن أهل هذه الآية :

«لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتَحًا قَرِيبًا . وَمَغَانِيمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا » ..

[الفتح ١٨ ، ١٩]

وقد صلى الله عليه وسلم وراءه :
عن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتهى إلى عبد الرحمن بن عوف وهو يصلى بالناس ، فأراد عبد الرحمن أن يتأخر ،
فأوما إليه أن مكانك ، فصلى وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاته» .

وذكر شتر وبين ويسير ، الشقفي قال :

كنا مع المغيرة بن شعبة ، فسئل : هل أم النبي صلى الله عليه وسلم أحد
من هذه الأمة غير أبي بكر ؟ فقال : نعم ، فذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم
توضأً ومسح على خفيه وعمامته ، وأنه صلى خلف عبد الرحمن بن عوف وأنا معه
ركعة من الصبح ، وقضينا الركعة التي سبقتنا ..

يقول الإمام الذهبي :

ومن أفضل أعمال عبد الرحمن عزره نفسه من الأمر وقت الشورى ،
وانتصاره للأئمة من أشار به أهل الحل والعقد ، فتهض في ذلك أتم نهوض على
جمع الأمة على عثمان ، ولو كان محايباً فيها لأنخذها لنفسه ، أو لولاها ابن عمه
وأقرب الجماعة إليه سعد بن أبي وقاص .

ويروى عن عبد الله بن دينار عن أبيه قال :

كان عبد الرحمن بن عوف من يفتى في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأبي بكر وعمر بما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عبد الرحمن بن عوف هذا كان من أصحاب الملائكة رضي الله عنه :

ماذا فعل في ملائكته هذه ؟

في يوم من الأيام قدمت له سبعمائة راحلة تحمل البر والدقيق والطعام فلما
دخلت سبع لأهل المدينة رجة ، وتحدث الناس بها هنا وهناك ، وكان منظر
الراحل مثيراً ، ولا عرف ذلك عبد الرحمن تبرع بها جميعها : الراحل
وما حملت ، في سبيل الله ..

وقائمة تبرعاته لا تكاد تحصى :

منها أنه تصدق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنصف ماله ،
ثم تصدق بأربعمائة ألف دينار ..

وحمل على خمسمائة فرس في سبيل الله .

ثم حمل على خمسمائة راحلة في سبيل الله .

هذا بعض ما تبرع به عبد الرحمن بن عوف في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبعد أن انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى أخذ عبد الرحمن يتبرع تباعاً بنسبة زيادة ماله ..

وكان يخصص جزءاً من ماله كل عام لزوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم .
يقول المسور رضي الله عنه :

فلمَّا أتَيْتَ عَائِشَةَ بَنْصِيبِهَا قَالَتْ : مَنْ أَرْسَلَ بِهَذَا ؟
قَلَتْ : عَبْدُ الرَّحْمَنَ .

قالت : أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
«لا يحنو عليكم بعدى إلا الصابرون ، سقى الله بن عوف من سلسيل الجنة » ..
ولقد أوصى عبد الرحمن لزوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم بحدائقه
قومت بأربعمائة ألفاً ..

ووصل الأمر بكرم عبد الرحمن بن عوف أنه كانت صلاته وهباته تستغرق
ثلث أهل المدينة ..

وكان يقضى ديون ذوي الديون ، وكان يقرض المحتاجين فرضاً حسناً ، وكان
يصل في سخاء ذوى رحمة من الأقارب الأقربين ، ومن ذوى القربي البعيدين ،
وكان يعم كرمته جميع أفراد عشيرته المحتاجين ..
أما الشخصية الثانية التي نحب أن نقول عنها كلمة فإنها شخصية :

* الزاهد الصالح أبي عبيدة بن الجراح :

. إنه أحد السابقين الأولين ، ومن عزم الصديق على توليته الخلافة ، وأشار به يوم السقيفة لكمال أهليته عند أبي بكر . شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وسماه أمين الأمة . . .

وهو أحد الثنائي الأول في الإسلام : أسلم قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقام ، وقد تحدث أبو بكر الصديق وقت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسقيفة بنى ساعدة :

قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين : عمر ، وأبا عبيدة .
وكان أبو عبيدة معدوداً فيمن جمع القرآن العظيم .

وبلغ من متزلته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جعله رئيساً على مدد حربى فيه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعمر الفاروق رضي الله عنه ، قال موسى بن عقبة في مغازيه :

غزوة عمرو بن العاص هي غزوة ذات السلاسل من مشارف الشام ، فخاف عمرو من جانبه ذلك ، فاستمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانتدب أبو بكر وعمروف سراة من المهاجرين ، فأمر النبي صلى الله عليهم أبو عبيدة . .

وثبت من وجوه عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن لكل أمة أميناً ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » ..

وكان رضي الله عنه حبيباً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : عن عبد الله قال : سألت عائشة : أى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحب إليه ؟ . . قالت :

أبو بكر ، ثم عمر ، ثم أبو عبيدة بن الجراح .

وأطلق عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمين هذه الأمة » . .

ومن أجل كل ذلك رشحه أبو بكر رضي الله عنه للخلافة ، وما كان سيدنا عمر رضي الله عنه يؤثر عليه أحداً لأمر الخلافة ولو كان حياً :

عن شريح بن عبيد وراشد بن سعد وغيرهما قالوا :

ولما بلغ عمر بن الخطاب سرغ [وهي قرية في أول الشام] وحدث أن بالشام وباء شديداً قال :

« إن أدركتني أجيأ وأبو عبيدة حتى استخلفته ، فإن سألني الله عز وجل لم استخلفته على أمّة محمد؟ . . قلت : إنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« إن لكل أمّة أميناً ، وأمين هذه الأمّة أبو عبيدة بن الجراح » .

ويقول صاحب كتاب : *أعلام النبلاء* :

(وكان أبو عبيدة موصوفاً بحسن الخلق ، وبالحلم الزائد والتواضع) .

وعن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ما منكم من أحد إلا لو شئت لأخذت عليه بعض خلقه إلا أبا عبيدة ، هذا؟ . .

وكان فارساً مقداماً لا يتراجع ، ولم يكن فارساً شجاعاً فحسب ، وإنما كان فارساً حكيمًا ذا بصيرة في الترتيب الحربي . .

ولكل هذا اتهى به الأمر أن كان القائد العام لجيوش الفتح في الشام كله ، ولاه سيدنا عمر ، وكانت ثقته به مطلقة .

وكان أبو عبيدة يسير في العسكر فيقول :

« لا رب مبيض لثيابه ، مدنوس لدینه ، لا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين .
بادر وا السيئات القدیمات بالحسنات الحديثات » . .

وسافر سيدنا عمر إلى الشام ليرى الأمر على الطبيعة ، وفي ذلك يروى المؤرخون عن تميم بن سلمة أن عمر لقي أبا عبيدة فصافحه ، وقبل يده ، وتنحياً يسكيان . .

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال :
 قدم عمر الشام فلتقاهم الأمراء والعلماء ، فقال : أين أخي أبو عبيدة ؟
 قالوا يأتيك الآن ، قال : فجاء رجل على ناقة مخطومة بحبل ، فسلم عليه
 ثم قال للناس : انصرفوا عنا ، فسار معه حتى متله ، فنزل عليه ، فلم ير في بيته
 إلا سيفه وترسه ورحله . فقال له عمر :
 لواخذت مثاعاً ، أو قال : شيئاً ..
 فقال : يا أمير المؤمنين ، إن هذا يبلغنا المقليل .
 وعن زهد أبي عبيدة يروى مالك أن عمر أرسل إلى أبي عبيدة بأربعة آلاف ،
 أو بأربعمائة دينار ، وقال للرسول : انظر ما يصنع بها . . قال : فقسمها أبو عبيدة ،
 ثم أرسل إلى معاذ بمثلها ، قال : فقسمها إلا شيئاً قالت له امرأته : تحتاج إليه . .
 فلما أخبر الرسول عمر قال :
 .. الحمد لله الذي جعل في الإسلام من يصنع هذا . -

ونلاحظ من كل ذلك :
 (أ) أن أبي عبيدة وصلت به تقواه إلى أن كان : أمين الأمة .
 (ب) ووصلت به شجاعته وبصائره المستنيرة إلى أن كان أمير الجيوش .
 (ج) وكان زاهداً زهداً اختيارياً لم يجره أحد عليه ، ولم يكن هذا الزهد
 عن فقر : لم يكن زاهداً بسبب أخذ ماله قهراً ، أو الاستيلاء على
 عقاره بالقوة ، وإنما زهد في متاع الدنيا لأنه يريد وجه الله .
 (د) حينما زاره عمر لم يجد عنده - وهو القائد العام جليوش الشام -
 مثاعاً ، وسأله أين مثاعك وأنت أمير ؟ . .
 فقال له : يا أمير المؤمنين ، هذا يبلغنا المقليل ، أى يكفينا إلى أن نصل
 إلى الآخرة ، دار الإقامة والبقاء . . لم يكن زهده عن فقر وإنما كان زهده عن
 استشراف لما هو نفس . .

كان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وسقاه من سلسلة الجنة - غنياً
صاحب ملايين ، وبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة . . .
وكان أبو عبيدة - وهو صورة حبيبة إلى كل نفس - زاهداً مختاراً ، وبشره
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة . . .

ولقد استأهلا الجنة ببطولات وجihad ، وتفان في حب الله ورسوله ، وبصفات
أخرى كثيرة يعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أهلتها للبشرى بدخول الجنة .
والعشرة المبشرون بالجنة فضلوا على غيرهم بجهادهم وبطولاتهم ، وصفاتهم
التي امتازوا بها على غيرهم . . . وكان بعضهم من أصحاب الملايين ، وبعضهم
من متوسطي الحال ، وبعضهم من الزهاد المتجردين طوعية و اختياراً .

وهناك من هم في مستوى من أفضل المستويات : جهاداً وتقوى عشرات
ومئات ، وآلاف من الصحابة ، ولم ترد الأخبار الصحيحة ، أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم بشرهم بالجنة ، من هؤلاء : أبوذر رضي الله عنه .

ويصل بنا كل ذلك إلى القول بأن واقع المسلمين ، وهم تحت سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وبصره ، لم يكن فيه اتجاه قط ، ولا من بعد ، إلى العند
من الثراء ما دام في إطار المبادئ الإسلامية من الكسب الحلال .

فإذا انشق إنسان أو شعب عن هذا النظام فإنه يكون منشقًا عن الوضع
الإسلامي ، عن الإسلام ، عن عمل الرسول صلى الله عليه وسلم ، عن الوضع
الذى رسنه الله ورسوله للأمة الإسلامية ، ولم يكن أبوذر رضي الله عنه من هذا الفريق
 فهو عدو للمسيحية من قبل أن توجد لأنه عدو لكل انحراف رضي الله عنه .



قواعد ظهر المال

ونصل الآن إلى الموضوع الثاني :

إنه مع اشتراط أن يكون المال من كسب حلال طيب ، فإنه لابد من شرط آخر ، حينما يصل المال إلى ملكية الإنسان : وهذا الشرط سمه إن شئت : شكر الله على النعمة ، أو سمه : عامل التركة ، تزكية المال . وتزكية صاحب المال ، وهذا الشرط هو: الزكاة ، شرط حتمي ، والصدقة : زيادة شكر الله على نعمته : وستتوسع في الحديث عن هذا الموضوع :

لما له من أهمية !

ولأن كثيراً من الناس انصرفوا عنه .

ولأنه يتصل به زوايا أخرى كثيرة لابد من إيضاحها .

روى الإمام البخاري رضي الله عنه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو بكر رضي الله عنه ، وكفر من كفر من العرب ، بسبب عدم إخراجهم الزكاة ، وامتناعهم عن تأديتها ، فقال عمر رضي الله عنه :

كيف تقاتل الناس ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه ، وحسابه على الله ؟

قال أبو بكر :

والله لا يقتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ؛ فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقاتلهم على منها !

قال عمر رضي الله عنه :

فوالله ما هو إلا أن شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه ، فعرفت أنه الحق ». من هذا الحديث الشريف نعلم أن مانع الزكاة بهذا الوضع ، وعلى هذه الصورة كافر ، وأنه يحارب حتى يؤديها وإلا قتل !!

وقد حارب سيدنا أبو بكر رضي الله عنه ، ما نهى الزكاة ، لأنه رأى أن الامتناع عن الزكوة - إنكاراً لها - ارتداد عن الإسلام ، ولم ينفعهم - فيما رأى - سيدنا أبو بكر ، وفيما رأى الصحابة معه - صلاة أو صيام ، أو غير ذلك من الشعائر الإسلامية .

ذلك أن الزكوة ركن من أركان الإسلام ، والامتناع عن أدائها إنما هو هدم ركن من أركان الدين .

إنها الركن الثالث يدفعها من تحب عليه لمستحقها ليحيى بها نفوساً ، ويسعى بها بطوناً ، ويمسح بها دموعاً ، ويزيل بها آلاماً ، وينال بها ثواباً وأجرًا من الله تعالى .

وكأن الإسلام بفرضها أراد أن يلفت بها نظر المسلم ، ويوجه انتباذه في صورة من صور الواجب - إلى ضرورة شكر الله تعالى على ما أسلى إليه من نعمة المال ، وعلى ما وهب من نعمة الثراء .

واراد أن يلفت نظره إلى أنه : عضو في مجتمع يجب أن يكون متعاوناً متسانداً كالجسد الواحد إذا اشتكت منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر ... وإلى أنه عضو في مجتمع يتکفل كل فرد فيه بالآخرين .

فالغنى متکفل بالفقير ، والقوى متکفل بالضعيف ، وذو الجاه متکفل بمن لا جاه له ، وذو العلم متکفل بمن ليس بعالم .

وقد جعل الله سبحانه وتعالى الزكاة برهاناً على الإيمان ، يقول صلوات الله وسلامه عليه :

« الصدقة برهان » . . .

وكل من يخادع نفسه إذن فيدعى الإيمان ، ثم يمتنع عن زكاة ماله ، فإن هذا الامتناع نفسه برهان على كذبه .

وإذا كانت الزكاة برهاناً ، فإنها ، أيضاً ، امتحان يستبين فيه من أجاب داعي الله ، ومن أعرض عنه .

ثم هي تطهير للنفس وتزكية لها ، وتطهير للمال ، وتزكية له ، يقول الله تعالى :

« خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا » . . .

[جزء من الآية ١٠٣ من سورة التوبة]

والمال الظاهر المزكي : ينمو باستمرار ، ويجعل الله فيه البركة ، ويحفظه الله تعالى من التلف ، ويبعد عنه الآفات ، ثم يخلقه الله تعالى :

« وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ » .

[جزء من الآية ٣٩ من سورة سباء]

وهو سبحانه وتعالى ، يعرضه أضعافاً مضاعفة :

« مَثَلُ الدَّيْنِ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُبْنَابَةٍ مِائَةً حَبَّةً ، وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » .

[سورة البقرة الآية ٢٦١]

ويأتي من بعد ذلك كله الأجر والثواب ، ورضوان الله سبحانه وتعالى .
وأجر الزكاة يبدأ من عشرة أمثالها ، فالحسنة بعشر ، إلى سبعمائة ضعف ،
إلى ما يشاء الله من أضعاف لا يكاد يحصيها العد .

والزكاة إذن رابطة بين الإنسان وربه ، رابطة رضوان من الله ، وأجر وثواب ،
ونماء وبركة ، ورابطة شكر من الإنسان لله تعالى ، على ما أنعم به ، وتفضل وأحسن
وأكرم .

وهي من ناحية أخرى : رابطة بين الإنسان ، وأفراد المجتمع الذي يعيش
فيه ، رابطة مودة وتعاطف وتراسخ .

والأساس الذي يجب أن يقوم عليه إعطاء الزكاة : أن يعطيها الإنسان
طيبة بها نفسه ، منشراً بها صدره ، غير متضرر شكرًا ولا حمدًا ، ولا معروفاً
يسدى ، ولا خدمة تؤدي ، يقول الله سبحانه وتعالى :

« فَانذِرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى . لَا يَصْلَاهَا إِلَّا أَشْقَى . الَّذِي كَذَّبَ
وَتَوَلَّ . وَسِيَجْنِبُهَا الْأَتْقَى . الَّذِي يُؤْتَى مَالَهُ يَتَرَكَّى . وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ
مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى . إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى . وَلَسَوْفَ يَرَضَى » .

[سورة الليل الآيات : ٢١ - ١٤]

وبعض الناس يتبعون صدقاتهم بالمن والأذى فيبطل ذلك زكاتهم ، ولكن :

« الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَبِّعُونَ مَا أَنْفَقُوا
مَنَّا وَلَا أَذْى ، لَهُمْ أَجْرٌ هُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ » .

[سورة البقرة الآية ٢٦٢]

وبعد : فإن هذا المال الذي استخلفنا الله عليه ، وجعلنا مجرد مستخلفين فيه ، إنما هو مال الله ، يقول الله سبحانه وتعالى مخاطباً الأغنياء :

« وَنَفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ ، فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَنَفِقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ». [سورة الحديد الآية : ٧]

وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى :

« الأغنياء وكلائي ، والفقراء عيالي ، فإذا بخل وكلائي على عيالي » أذقهم نكالي ولا أبالي » .

أما هؤلاء الذين يشحون بالمال ، ويبخلون به ، فإن الله سبحانه وتعالى يتحدث عنهم فيقول :

« وَلَا يَحْسِنَ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌ لَهُمْ ، سَيُطْوَقُونَ مَا بَخْلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَهُمْ مِيرَاثٌ السَّنَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ». [سورة آل عمران الآية : ١٨٠]

• المعاني الإنسانية في الزكاة :

روى الإمام أحمد رضي الله عنه بسنده عن أنس رضي الله عنه قال :

« أتى رجل من تميم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إني ذو مال كثير ، وذو أهل ومال حاضرة ، فأنبئني كيف أصنع وكيف أنفق ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 « تخرج الزكاة من مالك فإنها طهرة تطهرك ، وتصل أقرباءك ، وتعرف حق المسكين ، والجار ، والسائل » :
 في هذا الحديث الشريف ، بين رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن الزكاة
 تطهر المزكى ، إنها تطهره من البخل ، والله سبحانه وتعالى يقول :

« وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » .

[سورة الحشر الآية : ٩]

وإن من الثلاث المهلكات التي تحدث عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 الشح المطاع .

وتظهر النفس من الأنانية التي تجعل بعض النفوس يستأثر بكل شيء ، وينختص
 نفسه بكل خير ، مكتنراً له ، ومقتراً حتى على أقربائه ، فإذا ما تعود إخراج الزكاة ،
 فإنه بذلك يكون قد تعود أن يمنع ما يملك ويعطى مما أعطاه الله ، فيخرج بذلك
 عن شيء من أنانيته ، ومن أجل ذلك يقول تعالى لرسوله الكريم :

« خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُرْكِيْهِمْ بِهَا » .

[سورة التوبه جزء من الآية : ١٠٢]

ثم هي طمأنينة للنفس : على النفس ، وعلى المال :
 فالزكوة نوع من الفداء عن النفس ، يشعر بذلك المزكى شعوراً واضحاً ، أو
 شعوراً خفياً .

إنه يشعر في نفسه بعد أداء الزكوة بطمأنينة ، ويشعر في قلبه برضاء ، وفي ضميره
 بارتياح .

والزكاة نوع من الفداء عن المال ، ومن أجل ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« حسنتوا أموالكم بالزكاة » .

وإنه لما يرضى النفس ، ويترتاح له الفواد ، أن يصل الإنسان بالزكاة أقرباً ،
فتكون الزكاة زكاة وصلة رحم ، ويكون ثوابها بذلك مضاعفاً .

وإنه لشكر لله على النعمة أن يخرج الإنسان بعضها لمن لم يمنحه الله الثراء .
وبعد : فإن المسلم الصادق يرى من قبل ذلك ومن بعده أن للزكاة غايتين :
أولاًها : أن الزكاة تأدبة حق ، إنها واجبة وليس منحة ، إنها واجبة وليس
تفضلا ، فهو يؤديها على أنها حق السائل والمحروم ، يقول الله تعالى في سورة الذاريات
عن المتقين :

« وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ » .

[آية : ١٩]

ويقول الله تعالى في سورة المعارج ذاكراً صفات المؤمنين الحميّدة :

« وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ، لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ » .

[الآياتان : ٢٤ ، ٢٥]

أما الغاية الثانية : الغاية العليا ، الغاية السامية فإنها الرضا الإلهي ، يقول
تعالى من سورة الليل :

« فَإِنَّدِرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى . لَا يَصْلَاهَا إِلَّا أَشْقَى . الَّذِي كَذَّبَ
وَتَوَلَّ . وَسَيُجْنِبُهَا الْأَتْقَى . الَّذِي يُؤْتَى مَالَهُ يَتَرَكَّى . وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ
مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى . إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى . وَلَسَوْفَ يَرْضَى » .

* الصدقة :

يقول الله تعالى من سورة البقرة :

« قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَبَعُهَا أَذَى وَاللَّهُ غَنِّيٌّ حَلِيمٌ » .

وردت هذه الآية الكريمة - ضمن آيات عدة - تحت على الصدقة ، وتذكر آدابها وثمراتها .

وقد بدأ الله سبحانه وتعالى هذه الآيات من سورة البقرة بذكر ثمرات التصدق في سبيل الله ترغيباً في الصدقة من أول الأمر ضارباً المثل الواضح : فمثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله سبحانه كمثل حبة غرست في الأرض ، فنبتت وأينعت ، وأثمرت سبع سوابيل ممتلة موفورة ، في كل سبعة منها مائة حبة ، ويشير الله بذلك إلى أجر المتصدق ، ومقدار ما يخلفه الله تعالى عليه جزاء صدقته ، هذا الأجر الذي يتضاعف ، فيصل إلى سبع مائة مثل ، ولكنه لا يقتصر على ذلك ، فإنه بمقدار إخلاص المتصدق يضاعف الله له الأجر إذا شاء ، وإن فضل الله لأوسع من أن يضيق بمنح الأضعاف المضاعفة ، وهو سبحانه عالم بمن يستحق ذلك من المخلصين :

وبعد ذلك تتعرض الآيات لبعض شروط الصدقة المقبولة ، فمن ذلك أنه سبحانه :

١ - لا يقبلها من هؤلاء الذين يتبعونها بالمن .

والمن أن يعتقد المتصدق بإحسانه على من أحسن إليه ، فيقول مثلاً : أنا أحسنت إليه في كذا وكذا ، وأنا فعلت معه هذا وذاك ، يريد بذلك إظهار فضله عليه .

٢ - ومن ذلك أيضاً أنه سبحانه لا يقبلها من يتبعها بالأذى .
والأذى : أن ينطأول المتفق على من أفق عليه بالكلام أو بغيره .

أما الذين لا يتبعون ما أنفقوا مثناً ولا أذى ، فإن أجراهم عند الله سبحانه جزيل .
ومن أجل إبعاد المتصدقين عن أن يقعوا فيها يتصل المن والأذى ، من قريب أو بعيد ، أفاد سلفنا الصالح في الحديث عما يكون مثناً أو أذى فقالوا :

المن : أن يستخدمه بالعطاء ، والأذى : أن يعيده بالفقر .

وقالوا : المن أن يتکبر عليه لأجل عطائه ، والأذى : أن ينهره ويوبخه بالمسألة .
ولقد قال الإمام الفقيه سفيان الثوري .

مَنْ مَنْ فَسَدَتْ صِدْقَتَهُ !

فقيل له : كيف المن ؟

فقال : أن يذكره ، ويتحدث به .

ولقد كان سلفنا الصالح دقيقاً في هذه المعانى ، حتى لقد قال زيد بن أسلم رضي الله عنه :

«إذا أعطيت أحداً شيئاً ، وظنت أن سلامك يثقل عليه ، فكف سلامك عنه». على أن الكلام الحسن ، والرد الجميل على السائل ، والبشاشة في وجهه ، والتجاوز عن الحافه ، ومغفرة ذلك له – وكلها أمور سهلة التحقيق – خير عند الله ، وأفضل من صدقة يتبعها : من أو أذى للسائل !

والدين الإسلامي : دين يحافظ على كرامة الفرد محافظة تامة ، ما دام الفرد محافظاً على حدود الدين وآدابه لا يتجاوزها ، وإن حدث على الصدقة والإإنفاق ، فليس يعني بذلك الحط من قيمة الفقير ، بل إنه مما يؤثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

«ما الذي أعطى من سعة بأفضل أجراً من الذي يقبل من حاجة» !

ويروى أيضاً أنه قال – ما معناه – :

« إن الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد الفقير » :
على أن الصدقة في الجو الإسلامي : إنما تفيد المتصدق أكثر مما تفيد الآخذ ،
ذلك أن فائدتها للآخذ : تكاد تكون فائدة مادية وحسب ، إنها بالنسبة له لا تعدو
أن تكون علاجاً للجوع !

أما بالنسبة للمعطى فإنها تفиде في الدنيا ، وتفيد في الآخرة .
أما فائدتها في الدنيا : فإن الله سبحانه يختلف عليه لا بالمثل فقط ، بل بأضعاف
مضاعفة ، يقول تعالى :

« وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ». .

والصدقة دواء من المرض : يقول صلوات الله وسلامه عليه :
« داوا مرضاكم بالصدقات »

ويقول صلوات الله وسلامه عليه في إجمال وفي شمول :
« الصدقة تسد سبعين باباً من الشر » :

أما فائدة الصدقة في الآخرة : فإنها كما يقول صلوات الله وسلامه عليه .
. . « تطئ الخطيبة كما يطئ الماء النار » .

ويقول صلوات الله وسلامه عليه :
« اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فإن لم تجدوا بكلمة طيبة » .

ومن أجل فائدتها دنيا وأخرى كان سلفنا الصالح – رضوان الله عليهم – عندهم
شعور مرهف ، وإحساس دقيق ، واندفاع إلى الخير في صورة الصدقة ، فلقد
تصدق السيدة عائشة رضوان الله عليها بخمسين ألفاً ، وإن ثيابها لمرقة !
ولقد كانت – رضوان الله عليها – كغيرها من أفضل ومن فضليات ذلك العهد
الكريم – إذا أرسلت صدقة إلى فقير قالت لمن ترسله بالصدقة : احفظ ما يدعوك
به – ثم كانت ترد عليه مثل قوله ، فتدعوا له بمثل ما دعا لها ، وتقول : هذا بذلك ،

حتى تخلص لنا صدقتنا ، وكانت لا تتوقع الدعاء ، لأنه شبيه بالكافأة ، وكانت تقابل الدعاء بمثله .

ولقد عرروا رضوان الله عليهم متزالتها عند الله ، وقيمتها في سبيل القرب منه سبحانه :

يقول سيدنا عمر بن عبد العزيز واصفاً فضل العبادات في التقريب من الله : « الصلاة تبلغك نصف الطريق ، والصوم يبلغك باب الملك ، والصدقة تدخلك عليه » .

عرفوا بذلك فتنافسوا في البذل والإإنفاق ، والتزموا حدود الآداب التي يحبها الله سبحانه من المتفق ، واعتبروا أن للفقير فضلاً عليهم في تطهير أموالهم ، وفي تزكية نفوسهم ، وفي وضعهم موضع القبول والرضا من الله سبحانه وتعالى ، فابتعدوا كل البعد عن إيداء الفقراء على أي وضع من الأوضاع ، وإذا لم يكن عندهم ما يهدونه إلى الفقير قالوا له قولاً معروفاً ، وإذا ألحف غفروا له الحافه ، وإذا فاه بعض الفاظ لما يجده من الضيق الذي يحيط به عفوا عنه .

وبعد ، فإن أسلافنا من أنوار الله بصائرهم : كانوا يتبعون الهدى الإسلامي في أموالهم ، فيقولون :

إن هذه الأموال اشتراها الله منا في عقد الإيمان بشمن هو الجنة :

« إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ » .

فالمال مال الله ، والله سبحانه استخلفنا عليه ، ثم أمرنا بأن نتفق في سبيله وعلى عياله أي الفقراء مما استخلفنا فيه :

« وَانْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ » .

وهو سبحانه المعطى للمال ، فالفضل منه وإليه ، ولو شاء الله لأنْغَى الفقراء ،

ولكنه سبحانه فتح أيام الأغنياء بالصدقة بباباً هو الصدق في الإيمان ، حتى تكمل نفوسهم وتترکى ، فيرضى عنهم ، ويدخلهم في رحاب رحمته ورضوانه .

* الإيمان والإإنفاق في سبيل الله :

إن رسول الله صلوات الله عليه وسلم يقول :

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » :
وإذا وجد الإيمان وجد التآزر والتعاطف .

ونحب أن نتحدث في هذا الجانب عن عامل واحد من عوامل التعاطف وهو الزكاة :

أى أنها نحب أن نعود إلى الزكاة من جديد ، والحديث فيها لا يكاد ينفذ .

إن الزكاة وإن كانت تزكية مال المزكي ، فإنها تزكية وتطهير لنفسه ، وهى تزكية وتطهير لنفس الآخذ ، فإنها تبعث فيه الرضا والاطمئنان ، وهى تربط بين أفراد المجتمع برباط محكم لأنها مودة وشكر .

والزكاة في أوسع معانيها : إنما هي بذل وتصحية ؛ فمعاونة الضعيف زكاة ، وزيارة المريض زكاة ، والكلمة الطيبة زكاة ، وكل إنفاق من القوة أو الذكاء أو المال في سبيل الله ؛ إنما هو زكاة ، وقد وعد الله بأن يخلفه يقول الله تعالى :

« وَمَا أَنْفَقُتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ». .

يخلفه في الدنيا ، ويجزى عليه العطاء في الآخرة .

والإسلام من أجل ذلك يشجع البذل والإإنفاق ، والعبارات التي استعملتها القرآن في ذلك بلغت حدّاً من الروعة لا يجارى :

« مَثَلُ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ »

سَبْعَ سَنَابِلَ ، فِي كُلِّ سُبْلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ، وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ،
وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِمٌ » .

« الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، ثُمَّ لَا يُتَبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا
مَنًا وَلَا أَذًى ، لَهُمْ أَجْرٌ هُوَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزُنُونَ » ..

« من ذا الذي يفرض الله قرضاً حسناً ، فيضاعفه له وله أجر كريم » .
ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما رواه البخاري :
« على كل مسلم صدقة » .

فقالوا : يا نبى الله ، فمن لم يجد ؟ قال : « يعمل بيده ، فينفع نفسه ويتصدق » !
قالوا : فإن لم يجد ؟
قال : « يعين ذا الحاجة الملهوف » .
قالوا : فإن لم يجد ؟
قال : « فليعمل بالمعروف ، وليمسك عن الشر فإنها له صدقة » !
ولأهمية الزكاة البالغة - سواء نظرنا إليها باعتبارها جزءاً من الدين ، أو نظرنا
إليها باعتبار أهميتها للمجتمع - حارب سيدنا أبو بكر هؤلا: المتنعين عن أدائها
قائلاً :

« والله لا يأْقَاتُنَّ مِنْ فَرْقِ بَيْنِ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ » !
الزَّكَاةُ حُقُوقُ الْمَالِ ، وَهِيَ أَيْضًا مِنْ حُقُوقِ لِلَّهِ إِلَهِ إِلَهِ !
وَسَوْءَ أَكَانَا بِصَدَدِ الزَّكَاةِ ، أَمْ بِصَدَدِ الصَّدَقَةِ ، فَإِنْ مَنْزَلْتُهُمَا فِي الدِّينِ
وَأَهْمَيْتُهُمَا لِلْمَجَامِعِ بَيْنَهُمَا وَاضْحَى ، وَالْأَحَادِيثُ فِي الْحُثُّ عَلَيْهِمَا كَثِيرَةٌ ، يَقُولُ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« تصدقوا ولو بتمرة ، فإنها تسد من الجائع ، وتطهّي الخطيئة كما يطفئ الماء النار » !

وقال عليه الصلاة والسلام :

« اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فإن لم تجدوا في كلمة طيبة » .

« ما من عبد يتصدق بصدقة من كسب طيب – ولا يقبل الله إلا طيباً – إلا كان الله آخذها بيديه فيربيها كما يربى أحدكم فصيله حتى تبلغ الشمرة مثل أحد » .

وقال عليه الصلاة والسلام :

« كل امرئٌ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس » .

« والصدقة تسد سبعين باباً من الشر » .



الرّبا

والطرف المعارض للصدقة ، الطرف الذي يبغضه الله ، ويبغض المتعاملين به : هو الربا .

وقد حارب الإسلام الربا حرّاً لا هوادة فيها : ا
حاربه لأنه مبدأ ليس بانساني ، واستعمل في محاربته من التعبير أقساماً . لقد
حاربه في جملته وتفصيله .

قال الله تعالى :

«الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُ
الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ، ذَلِكَ بِأَعْسَهِمْ قَالُوا : إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ،
وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحْرَمَ الرِّبَا ، فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةً مِنْ رَبِّهِ فَاتَّهَى
فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ، يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ
كُفَّارٍ أَثِيمٍ » .

[سورة البقرة آيتا : ٢٧٥ - ٢٧٦]

إن القاعدة الأساسية في بيان حقيقة الربا هي : أن كل قرض جر نفعاً

فهو رباً ، وقد بين الشعـ العـ الحـ كـمـ أنـ منـ أـعـطـيـ غـيرـهـ مـقـدـارـاـ منـ القـمـحـ أوـ منـ النـقـودـ فـلـيـسـ لـهـ أـنـ يـسـرـدـ إـلـاـ المـقـدارـ نـفـسـهـ ، يـقـولـ اللـهـ تـعـالـىـ :

« وَإِنْ تَبْيَمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ».

[سورة البقرة جزء من الآية : ٢٧٩]

وصاحب المال ليس له إذن إلا المقدار الذي أعطاه .

وقد كان عند سلفنا الصالح رضوان الله عليهم إحساس دقيق بهذه المعانى لدرجة أن الواحد منهم كان يتخرج من أن يستظل بظل شجرة المقراض أو حائطه .

وعلى هذا الأساس الدينى من القرآن والسنـةـ : فإن كل محاولة لإخراج الفائدة - مهما قلت - عن محـيطـ الـربـاـ ، تكون منافية للكتاب والـسنـةـ وعمل السـلـفـ الصـالـحـ . والآية القرآنية الكريمة التي بين أيدينا تتحدث عن حالة الذى يأكل الـربـاـ فى نفسه ، وتتحدث عن هؤلاء الذين يجـادـلـونـ وـيـعـارـونـ فـيـ أـوـامـرـ اللـهـ وـنـوـاهـيـهـ منـ أـجـلـ تـحـلـيلـ أـمـاـ مـحـرـمـ ، وتتحدث عن ثمرة استعمال الـربـاـ ، وثمرة الجانب المقابل له ، وهو الصدقـةـ .

أما حالة من يأكل الـربـاـ : فإنـهاـ كـحـالـةـ المـجـنـونـ الذىـ يـتـخـبـطـ الشـيـطـانـ منـ المـسـ : ذلك أنه إذا كان هذا الذى أصابـهـ خـبـلـ يـقـومـ وـيـسـقطـ وـيـسـيرـ وـيـهـوـىـ إـلـىـ الأرضـ فهوـ متـخـبـطـ بـجـسـمـهـ المـادـىـ .

فإنـ الذـىـ يـقـيسـ الـربـاـ عـلـىـ الـبـيـعـ ، وـيـجـعـلـ الـربـاـ حـلـلاـ ، لأنـ الـبـيـعـ حـلـلـ متـخـبـطـ فـيـ تـفـكـيرـهـ العـقـلـىـ ، بلـ إنـ هـذـاـ شـرـ منـ الذـىـ يـتـخـبـطـ بـجـسـمـهـ .

قالـ المـعـارـضـونـ لـصـرـاطـ اللـهـ الـمـسـتـقـيمـ : إنـاـ الـبـيـعـ مـثـلـ الـربـاـ ، وـقـصـدـواـ بـذـلـكـ الـمـبالغـةـ حيثـ جـعـلـواـ الـربـاـ أـصـلـاـ ، وـقـاسـواـ عـلـيـهـ الـبـيـعـ .

وـكانـ أـهـلـ الـجـاهـلـيـةـ إـذـاـ حلـ مـاـ أـحـدـهـمـ عـلـىـ غـرـيمـهـ يـقـولـ الغـرـيمـ : زـدـنـىـ فـيـ الأـجـلـ أـزـدـكـ فـيـ الـمـالـ - فـيـفـعـلـانـ وـيـقـولـانـ :

سواء علينا الزيادة في أول البيع بالربح أو عند محل الدين هو مرضه .
فإنكر الله سبحانه وتعالى عليهم ذلك ، وكذلك بين لهم ما يحب أن يتزموه دون معارضة أو نقاش أو شك ، وهو الخضوع لحكم الله سبحانه وتعالى خصوصاً لا يجدون في أنفسهم حرجاً ولا ضيقاً ، قال الله تعالى لهم .

«وَأَحَلَ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَمَ الرِّبَا» .

فكل قياس بعد ذلك يريد أن يخرج على هذا النص فإنه قياس قاسد ، وكل محاولة تزيد أن تبرر حل الربا فإنها محاولة خاسرة .

وهؤلاء الذين يتوجهون هذا الاتجاه ليس منهم في تحبط منطقهم إلا كمثل تحبط المجنون الذي لا يكاد يخطو حتى يهوي إلى الأرض متعرضاً مصروعاً . وموقف أكلة الربا بعد بيان الله سبحانه هذر وموعظته إنما هو أحد أمرين .

إما أن يتنهى المرادي ويستجيب لله سبحانه وتعالى بترك الربا ، فهذا يكون أمره راجعاً إلى الله ، وله رأس ما له فقط .

وإما أن يستمر على الربا ويتمادي بعد بلوغه النهى . فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون .

على أن الله سبحانه وتعالى يمحق الربا ويذهب بيركته فإنه سبحانه يبارك في المال الذي أخرجت منه الصدقة .

وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
«ما نقص مال من صدقة» .

ويختتم الله آيات الربا بهذا التهديد العنيف ، وبهذا الوعيد الشديد :

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذُرُوا مَا بَيْنَ أَرْبَابًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِنْ تَبْتَمِ

فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ .

والمفهوم من هذه الآية الكريمة : أن المباني الذي لم يتبرع لا يحل له شيء من ماله .

وقد وردت آيات الربا التي معنا بعد آيات رائعتات تتحدث عن الصدقة ، وعن هؤلاء الذين يستجيبون لله تعالى فيسأرعن إلى مرضاته بالصدقة وبالنذكارة ، فيرعاهم ويكلؤهم بعنتيه ويحفظهم بحفظه :

« الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرٌ هُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » .

وإذا ذكرت قصص المراين في بشاعة واشمتواز : فإن قصص أصحاب الصدقات ، والمؤثرين على أنفسهم ، ولو كان بهم خصاصة لا تقاد تحصى ولا تعد .

وإذا كان المرايون **تُشَعَّرُ بهم نار جهنم** ، فإن أصحاب الصدقات وأصحاب القرص الحسن على هدى من الله ؛ وفي رحاب رضوانه ، فإن من أنظر معسراً أو وضع عنه :

« أَظْلَهَ اللَّهُ فِي ظَلَلِ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظَلَلَ إِلَّا ظَلَهُ » .

هذا ، ولم يكن موقف السنة النبوية الشريفة فيما يتعلق بالربا بأقل صرامة من موقف القرآن الكريم ، فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« اجتنبوا السبع الموبقات - أئي المهلكات - قالوا : يا رسول الله : وما هن ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق ، وأكل

الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقدف المحسنات الغافلات المؤمنات » .

وروى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا ، وموكله ، وكوتبه ، وشاهده - وقال : « هم سواء » .

وقد نتساءل عن السر في تحريم الربا بهذه الصراامة الصارمة ، ولكن هذا السر سافر ظاهر لا يغيب عن ذوى البصائر الرشيدة ، فإن الأساس الذى يتخذه الدين الإسلامى لبناء العلاقات بين أفراد المجتمع بعضهم مع بعض ، إنما هو الأخوة :

« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » .

و « المسلم أخو المسلم : لا يظلمه ، ولا يسلمه ، ولا يخذله » .
والأخوة تنافيًّا مطلقاً مع أي نظام استغلالى ، إنها تنافي إذن تنافيأً تماماً مع التعامل بالربا .

ثم إن طابع الرسالة الإسلامية إنما هو الرحمة :

« وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ » .

[سورة الأنبياء : ١٠٧]

وال المسلمين فيها بينهم إذن : إخوة متراحمون !
إنهم فيما بينهم عطف وتع우ون ، ومودة ورحمة ، وكل هذا ; طريق غير طريق المراين .
وبعد ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول - فيما رواه الحاكم - :
« أربعة حق على الله ألا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها :
مدمن الخمر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والعاق لوالديه » .



قارون

ونصل الآن إلى الموضوع الثالث وهو القواعد التي وضعها الله للأغنياء حتى لا يخسف الله بهم وبدارهم الأرض ، ولقد ذكر القرآن عن ذلك الكثير ، ونحب أن نوجز الأمر ممثلاً في شخصية قارون ونصيحة أهل الصلاح والتقوى .

كان قارون من قوم موسى ، وقد نشأ في ربع مصر ، وآتاه الله ثراءً عريضاً ، ورزقه من المال ما لا يكاد يحصى ولا يعد ، وهياً له من وسائل الحياة الهائلة وأسبابها الشيء الكثير ، فكان مع ثرائه الواسع قوى الجسم ، وضيء الصورة ، إلى درجة أنه كان يسمى « المنور » .

وكان إلى ذلك طلق اللسان ، جذاب الحديث ، آتاه الله كل ذلك ، وآتاه أكثر من ذلك ، فكان منطق الحكمة أن يؤدي الله حق الشكر على نعمه ، وأن يتصرف فيما منحه الله إياه تصرف المعترف بالفضل الذي لا ينكر الجميل :

ولكن نفسه كانت تتطلع إلى غير ذلك .. لقد أجال بصره في بيته ، وفي عشيرته ، فلم يجد ما يساعدة على أن يكون حاكماً ، أو صاحب ولاية ورئاسة ، فأخذ ينسليخ من عشيرته ، وينفصل عن قومه ، ويقترب إلى فرعون : يداهنه ، ويتملق كبراءه ، ويترلّف إليه ، حتى أصبح من جلسايه .

وفي قترة من الفترات وجد نفسه ينعم بجاه الثروة ، ويستمتع بجاه السلطان ، فانتشر بهذا المجد الزائف ، وملاه الغرور ، واستولى عليه الكبر ، ورسخ في نفسه

أن السعادة إنما هي الثراء والجلوس مع فرعون .

ولَا وَقْرَفَ فِي نَفْسِهِ ذَلِكَ نَسْيَ اللَّهِ أَوْ تَنَاسَاهُ ، فَتَعُودُ عَادَاتُ الظِّنِّ لَا دِينَ لَهُمْ : ازدراء العشيرة ، واحتقار الفقراء ، ونضوب معين الرحمة من القلب ، واعتبار أن الحياة الدنيا هي كل شيء ، وأن المثل الأعلى إنما هو الاستمتاع على أي وضع كان ، وفي أي صورة حدث .

وسارت الحياة به على هذا النمط ، رخاء ، فترة من الزمن ، فاعتقد أنها ستسير به هكذا إلى النهاية ، ولكن . . .

وفي يوم من الأيام ، بينما كان يجلس قارون مع فرعون وهامان ، دخل موسى عليه السلام يعرض عليهم الرسالة التي كلفه الله بت比利غها :

« وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ، إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَابٌ ». . .

[القصص : ٢٣ ، ٢٤]

لقد كان المنتظر من قارون أن يدافع عن موسى ، إن لم يكن من أجل الحق الواضح فمن أجل العصبية والجنسية ، ولكنه ضرب بالحق وبالعصبية عرض الحائط ، وجاري فرعون حرصاً على ماله ، واحتفاظاً بثروته ، وقال كما قال فرعون : « ساحر كذاب » . . .

ومن أجل الإبقاء على ثروته نجاري فرعون في إسراfe وطغيانه ، فقال موافقاً له :

« اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ [مَعَ مُوسَى] وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ». . .

ولما قال فرعون : « ذروني أقتل موسى » ، لم يحاول قارون الدفاع عن رسول الله ، وإنما الذي فعل ذلك رجل مؤمن من آل فرعون يكتفي بيمانيه . . .

وارتكب قارون كل ذلك : إيثاراً للمال ، وخوفاً على الثروة من أن يصادرها فرعون لو خالفه فيما يرى من رأى ، وغاب عنه أن الثروة والملك ، والدنيا والآخرة ، بيد الله وحده . . وكما أنه ، سبحانه ، المانع الوهاب ، فإنه تعالى المانع القابض . . ولا رأى بعض الصالحين من قوم قارون أن الثروة والجاه أفسداه تشاوروا فيما بينهم ، واتفقوا على أن يسدوا إليه النصيحة ، فلما اجتمعوا به تلطفوا في القول ما استطاعوا ، وأجملوا النصيحة في أمور خمسة ، هي في الواقع القواعد العامة المثالية لما ينبغي أن يكون عليه الأثرياء ، وهي القانون الذي يجب أن يخضع له أهل الغنى ، قالوا له :

- ١ - إنك مباه بثروتك ، فخور بها ، فرح بكثرة المال ، وما ينبغي أن يكون الفرح بالمال لأنه وسيلة إلى النفع ، فلا تفرح بكثرة المال فرح بطر ، فإن الله لا يحب الفرحين الذين يتمثل فيهم ذلك . .
- ٢ - وقد أتاك الله المال الكثير المتنوع فابتغ فيها آتاك الله الدار الآخرة ، واتجه في كل ما تأتي وما تدع إلى تقوى الله ومرضاته .
- ٣ - والدنيا مزرعة الآخرة وطريقها ، فلا تنس نصيبك من الخطوات في هذا الطريق بالعمل الصالح الذي سيكون رصيدهك :

«يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنْوَنَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» .

٤ - «وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ» :

فاجعل زكاة المال مساعدة الفقير ، وزكاة قوتك نصرة الضعيف ، وزكاة جاهلك معاونة المظلوم حتى يسترد حقه .

٥ - «وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ» :

ولكن هذه المبادئ السامية - التي إذا عممت كانت الدستور لكل صاحب
جاه أو نعمة - لم تلق أذناً صاغية لدى قارون ، الذي أهان التكاثر ، فقال ساخراً
متحدياً لا يبالى :

«إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي» .

لقد أتيت هذا المال بسبب تدبيري ، وحكمتي ، وحسن تصريف للأمور ،
وحسبي الذي لا يخطئ في شئون التجارة ، ورأي الصائب في ارتفاع الأسعار
ونزولها ، وأنكر بذلك أي أثر إلهي للنعمات التي ينعم بها وفيها .

وتناهى قارون وهو في نشوة البناء ، وحماسة الجدل : الأخبار الصحيحة
التي تدل على أن الله سبحانه أهلك كل ذي جاه لم يتق الله فيها أنعم به عليه ،
ولم يؤد حق النعمة : مالا كانت أوقية أو رئاسة :

«أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُ
مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمِيعًا»؟

[القصص : ٧٨]

وأراد قارون أن يتحدى ، وأن يسخر ، وأن ينعم بالتحدي والسخرية من نصحوه ،
فخرج يوماً على قومه ، في موكب كأنه ما يكون من الزينة والأبهة ، وكأنهوا
ما يكون بريقاً وزخرفاً

لقد خرج على قومه في زينته ، في كل زينته ، فمدت إليه الأعين ،
وأخذ بريق الذهب الذي يتحلى به الركب يختطف بالأبصار ، ولمعان الفضة
المحلاة بها سروج الخيل يخلب الأفئدة ..

وتهادى الركب بقارون وهو ينظر يميناً وشمالاً في كبر ياء سافر ، وفي غرور
مكشوف .. ولا رأى هذا المنظر أولئك الذين يسيرون بحسب قانون الغرائز ، ويريدون

الحياة الدنيا : فتنهم بريق الذهب ، ولمعان الفضة ، وزخرف الموكب ، فقالوا
في شهوة غلابة ، وفي جوع إلى المال نهم :

« يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلًا مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍ عَظِيمٍ » .

[القصص : ٧٩]

ولكن الذين هداهم الله إلى صراطه المستقيم ردوا عليهم منبهين :

« وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ أَمْنَ وَعَمِلَ صَالِحًا » .

[القصص : ٨٠]

وسنة الله لا تختلف عادة ، نذكر منها فيما نحن بصدده قوله تعالى :

« حَسْنَى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا ، وَازْيَّنَتْ ، وَظَانَ أَهْلُهَا
أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا ، أَتَاهَا أَمْرَنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا ، فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا
كَانَ لَمْ تَغُنِ بِالْأَمْسِ » .

[يونس : ٢٤]

وقوله تعالى :

« وَإِذَا أَرْدَنَا أَنْ بُرْلَكَ قَرِيَّةً أَمْرَنَا مُتَرَفِّهَا فَقَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ
عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا » .

[الإسراء : ١٦]

وإذا كانت هذه سنة الله في الأرض وفي القرى ، فماذا يتضرر أن تكون في قارون
وأمثاله ؟ .. إنها :

«فَخَسَقَنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ، فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِتْنَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُتَصْرِينَ» .

[القصص : ٨١]

ولَا رَأَى الَّذِينَ تَحْنَوْا مَكَانَ قَارُونَ بِالْأَمْسِ مَا حَلَّ بِهِ رَجَعُوا إِلَى اللَّهِ وَأَنَابُوا إِلَيْهِ ،
قَائِلِينَ :

«وَيَكَانَ اللَّهُ يَسْطُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ،
لَوْلَا أَنْ مَنْ أَنْهَا اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ، وَيَكَانُهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ» .

[القصص : ٨٢]

أَمَا الْعِرْبَةُ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ فِي لِحْصَهَا الْقُرْآنَ – عِنْدَ اتِّهَاءِ قَصْنَةِ قَارُونَ – تَلْخِيصًا
جَمِيلًاً مُوجِزًا :

«تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ
وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» .

[القصص : ٨٣]

وَإِلَى هَذَا انْهَى فَسَهَ قَارُونَ ، وَكَانَ يَعْكِنْتَنَا أَنْ نَقْفَعَ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ ، وَلَكِنْ هَذَا
بعضُ الْطَّرَائِفِ وَالْمَلَاحِظَاتِ ، يَقُولُ اللَّهُ عَنْ قَارُونَ :

«وَاتَّيْنَاهُ مِنَ الْكُنْزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنْوِي بِالْعُصْبَةِ أُولَئِي الْقُوَّةِ» .

[القصص : ٧٦]

١ - يقول صاحب البحر الحيط :
سميت أمواله كنوزاً لأنها لم تؤد منها الزكاة ، وعلى ذلك فإن الأموال التي تؤدي فيها
الزكاة لا تدخل تحت قوله تعالى :

« وَالَّذِينَ يَكْتُرُونَ الْذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ » .

٢ - أما عن المفاتيح التي تنوء بالعصبة أولى القوة فقد قال أبو مسلم رأياً طريفاً جداً
في تفسيرها ، وهو أن المراد من المفاتيح العلم والإحاطة ، كما في قوله تعالى :
(وعنه مفاتيح الغيب) . . والمراد : وآتيناه من الكنوز ما إن حفظها والاطلاع
عليها ليشتعل على العصبة ، أى هذه لكثرتها ، واختلاف أصنافها تتبع حفظها ،
القائمين عليها

٣ - يذكرنا ثراء قارون بأثرياء المسلمين في العصور الماضية ، وكان من هؤلاء
عبد الرحمن بن عوف ، ولكنه رضى الله عنه كان يؤدى حق الله في ماله ، حتى لقد تبرع
يوماً لفقراء المدينة بقافلة كاملة مكونة من خمسمائة جمل بما تحمل من تجارة ..
وإذن ، فالمال إنما يكون فتنة إذا لم يؤدى حق الله كاملاً فيه ، وكذلك الأولاد
إنما تكون فتنة إذا لم يؤدى الوالد حق الله والوطن فيهم ، بتربيتهم خير تربية ..





الفصل الرابع

أبو ذر و الشيوعية من زاوية الأخلاق





تحدثنا فيها سبق عن أبي ذر والشيوخية في العقيدة ، ورأينا أن الشيوخية ليس لها في أبي ذر نصيب ، إذا نظرنا إلى العقيدة ، وأن الوضع بينهما هو الوضع بين الكفر والإيمان ، بين الإلحاد والإسلام .

والآن نتحدث بتوفيق الله تعالى عن أبي ذر والشيوخية فيما يتعلق بموضوع الأخلاق .

إن استمداد الأخلاق - أساساً - في الإسلام إنما هو من الركن الأول من العقيدة الإسلامية ، وذلك أن الله تعالى هو الذي رسم الخلق للمسلم ؛ فإذا شهد المسلم أن لا إله إلا الله فإن ما يدخل في نطاق الشهادة أن يلتزم بالخلق الذي رسمه الله تعالى وإلا فإنه لا يكون مسلماً صادقاً .

والأخلاق في الجو الإسلامي مرتبطة بالدين ارتباطاً لا ينفصل : منه تنبع ، وعلى أساسه تقوم ، وعنه تصدر .

إنها جزء من الدين الإسلامي لا يتجرأ ، مصدرها هو مصدره : إلهي رباني .

وصفات المؤمنين التي حددتها القرآن بأسلوب عربي مبين ، والتي تحدث عنها الرسول صلى الله عليه وسلم كثيراً في أحاديثه الشريفة تتضمن الأخلاق الإسلامية ؛ وما ورد في ذلك :

«إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَا عَنِ

الْفَحْشَاءُ وَالْمُنْكَرُ وَالْبُغْيٌ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ .

[النحل : ٩٠]

ولقد أعلن الله تعالى أنه أرسل محمدًا صلى الله عليه وسلم ليشر بالرحمة للعالمين
فقال سبحانه :

«وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ .»

[الأبياء : ١٠٧]

وجوهر الأخلاق الإسلامية هي :

العدل :

الإحسان .

الرحمة .

أما العدل فإنه عام شامل : إنه فرض بالنسبة للأحكام ، سواء أكان المحاكمون
أصدقاء ، أم أعداء ؛ يقول تعالى :

**«وَلَا يَجْرِمُنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَا تَعْدِلُوا : اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ
لِلتَّقْوِيَّةِ .»**

[المائدة : ٢٨]

أما الإحسان فإنه في كل أمر من أمور السلوك الأخلاق :

إنه مثلا في العبادة ، والمحسنون يصفهم الله تعالى بقوله :

**«كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ . كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ .
وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ .»**

[الذاريات : ١٦ : ١٨]

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإحسان في العبادة :
«أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» .

والعبادة هنا هي كل سلوك يهاجر به الإنسان إلى الله : والإنسان يهاجر إلى الله بتجارته ، ويهاجر إلى الله بصناعته وزراعته :

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيها أخرجه البخارى ومسلم عن عمر ابن الخطاب :

«إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهو هجرة إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيّبها أو امرأة يتزوجها ، فهو هجرة إلى ما هاجر إليه . وكل هجرة إلى الله عبادة .

والإحسان يكون في الإنفاق ، ومن أمثاله ما وصف الله به المحسنين بقوله :

«وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ» .

[الذاريات : ۱۹]

والإحسان في العمل إتقانه :

«إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنـه» .

وكما أن العدل أصل من أصول الخلق الإسلامى ، فإن الإحسان أصل آخر من أصول الأخلاق الإسلامية .

والرحمة أصل ثالث ؛ وللرحمة في الجو الإسلامي مكانة كبرى ، ويمتد محيط الرحمة حتى تشمل الحيوان :

«والشاة إن رحمتها رحمك الله» .

ويقوم على تحقيق العدل والإحسان والرحمة مبدأً للجهاد الذى جعله الله تعالى من أهم المبادئ الإسلامية ومن أصلها .

الجهاد بجميع ضر و به :

(أ) جهاد النفس لتنزكي .

(ب) جهاد الأسرة لتنقيم .

(ج) جهاد المجتمع ليقوم على أمر الله .

(د) جهاد الأعداء لتكون كلمة الله هي العليا .

وكان أبوذر رضي الله عنه متباوياً تجاوياً كاملاً مع الخلق الإسلامي ، إنه كان في سلوكه مثلاً كريماً للعدل ، والرحمة ، والإحسان ، وكان يروى في ذلك من الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم النقيس السامي :

لقد روى حديث الاستمداد من الله والتوجيه إليه ، وهو من الدرر في هذا المجال ، وقد سبق أن ذكرناه .

وقد روى أبوذر - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له :

« يا أبا ذر : إنني لأعرف آية لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكتفهم :

« وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا . وَيَرْزُقُهُ مِنْ جَيْشٍ لَا يَحْتَسِبُ » .

[الطلاق : ٢ ، ٣]

ويقول أبوذر عن وصية النبي صلى الله عليه وسلم ، له :

« أوصاني بخمس :

أرحم المساكين وأجالسهم .

وأنظر إلى من تحتي ، ولا أنظر إلى من فوق .

وأن أصل الرحم وإن أدبرت .

وأن أقول الحق وإن كان مراً .

وأن أقول لا حول ولا قوة إلا بالله » اه .

وعن أبي ذر قال :

« أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بسبع :
أمرني بحب المساكين ، والدنو منهم
وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني .
وألا أسأل أحداً شيئاً .

وأن أصل الرحم وإن أدبرت .
وأن أقول الحق وإن كان مراً .
وألا أخاف في الله لومة لائم .

وأن أكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله ؛ فإنهن من كثر تحت العرش ».
وهذه أحاديث التزمها أبو ذر وهي من عيون الخلق الإسلامي .
ونقيض هذا : الخلق الشيعي .

وانظر الآن ما ي قوله زعماء الشيعة ، وما هو طابع الجو الشيعي ، يقول أحد
قممهم الشهيرة :

« نحن نكره المسيحية والمسيحيين ، و حتى أحسن المسيحيين خلقاً نعده شر
أعدائنا ، وهم يبشرون بحب الجيران والعطف والرحمة ، وهذا يخالف مبادئنا ، والجب
المسيحي عقبة في سبيل تقدم الثورة ، فليسقط حيناً لجيранا ، فإن ما نريده : هو
الكراهية والعداوة ، وحينذاك نستطيع غزو العالم »^{١٤} هـ

* الإسلام لا الشيوعية :

ويصور الأستاذ الكبير إسماعيل مظير ، الأخلاق الشيوعية في عمومها فيقول عن
الطابع العام فيها :

ولا شك في أن للشيوعيين فكرتهم الخاصة في مستوى الأخلاق الذي يلائم
نزاعاتهم ؛ ومن أجمل ذلك كان مثلهم الأخلاقى مثلاً يمشى إلى النقيض من المثل

الأخلاقية التي سادت المجتمعات الحضارة التي نشأت وربت في ظل الموروثات التي رتبها ونشأها شوامخ المفكرين والمصلحين طوال العصور .

وإن نظرة واحدة في المستوى الأخلاقى لجمعية شيوعية يدللك على أنه يقوم على النفعية ، والانتهازية ، والمادية الصرفة الموجلة في الخصومة والعناد بحق أو بغير حق ، من غير أن تفرض أن هناك أية قيمة لذلك القانون الأبدى الذى بشرت به كل النفوس الكبيرة للناس :

قانون الصدق ، والحق ، والعدل .

ويقول « هارولد كوكس » :

« لم ينشأ الشيوعى لكي يسمو بالطبيعة البشرية ويعلو بها ، وإنما نشا ليحطم الرأسمالية ؛ ومن أجل أن يصل إلى هذا الغرض ، فهو يشجع ، أو هو يغتفر كل سلوك وصمه الناس من قبل بأنه إجرامي » ١٩ .

ويقول « هارولد كوكس » في كتابه « الحرية الاقتصادية » :

« ليس في تعاليم الشيوعية شيء مثالي أو رفيع ، إنها تستنصر جميع النزوات ، وجميع الرذائل ، كالحسد ، والغيرة ، والشهوة ؛ هي تشجع ، أو على الأقل تجيز الإنلاف والشطط والخلاعة والإدمان ؛ إن غايتها السلب والنهب » ٢٠ .

وإن ما أثبتته محاضر قضايا الشيوعية بمصر أن واحدة من « زوجات الدولة » اسمها « ميري روز نتال » كان لها في مصر زوجان مختلف إلى كليهما ، وتقاسم كلاً منها الفراش حين تشاء أو حين يشاء هو ، ولم تنكر هي أنها « زوجة » لكل منهما ، ولم ينكر أحد منها أنها « زوجته » ولم ترأف أحدهما في ذلك عيباً ، لأنهم جمیعاً « شيوعيون ». أما عن أسلوبهم في النقد والهجوم ، أو في الدعوة ضد معارضيهم فإن الأستاذ « لا فالى » يقول :

« إن لهجة التهيج والحقد التي يكتب بها الشيوعيون تهاريجهم الطنانة ، لأشبه شيء بنغمة الموت عند أكلة لحوم البشر » .

وجو الأخلاق هذا يتبرأ منه زاهدنا الورع الصالح أبو ذر ، بل يلعنه ويحاربه ، ويضحي بنفسه في مقاومته لو وجد في عهده ؛ إنه جو مختلف تماماً مع روح أبي ذر ، ومع إيمانه ، ومع أخلاقه الإسلامية المستمدة من الوحي الإلهي المعصوم .

ولقد بينا من قبل التعارض التام بين أبي ذر والشيوخية في العقيدة ، والتعارض التام بين أبي ذر والشيوخية في النظام المالي ؛ وهذا هو ذا يتعارض مع الشيوخية تعارضاً تاماً في الأخلاق .

إنه يتبرأ من الشيوخية جملة وتفصيلاً : إنه مؤمن وهي ملحدة ، وهو يعترف بالملكية الفردية وهي لا تقرها ، وهو مسلم في خلقه ، وهي ماركسية في أخلاقها : إنه مسلم والمسلم لا يكون قط شيوخياً .



الخاتمة



ماذا يمكن أن نقول في الخاتمة؟

- ١ - إن أبي ذر مؤمن والشيوخية ملحدة ، وإيمان أبي ذر يقين ، والإلحاد الشيوعية يقين . إن الإلحاد جزء من طبيعة الشيوعية ، إنها فتحت معاهد لتعلم الإلحاد ، ولأن الإلحاد لجزء من طبيعتها فهي تعاوٍ بين الأديان ، كل الأديان .
- ٢ - وأبو ذر يستمد رأيه وفكته من تعاليم القرآن الكريم ، وإنجيل الشيوعية هو كتاب رأس المال .
- ٣ - يتخد أبو ذر رضى الله عنه محمداً صلى الله عليه وسلم ، إماماً ، وأما لشيوعية فيقودهم كالقطيع ماركس اليهودي .
- ٤ - أخلاق أبي ذر هي أخلاق الإسلام : عدالة ، ونصفة ، وتراسخ ، ومودة ، وعطف ، وأنحنة ، ورحمة ، وإحسان وأخلاق الشيوعية حقد وحث على التطاحن ، وكراهيّة ، وجاسوسية ، وقتل ، وسفك ، وتنكيل ، ودماء تسيل وقسوة وإرهاب .
- ٥ - والإسلام أساسه الوحي المقدس ، والشيوعية أساسها الصهيونية .
- ٦ - وأبو ذر زاهد المتجردin ، وهو الزهد الاختياري ، ويدعو إلى هذا النمط من الزهد الاختياري ، وأما الشيوعية فإنها تغتصب الأرض والمال ، وتتغافل أصحابها قهراً ، وإذا تنفس أحدهم بكلمة فجزاؤه القتل أو النفي ، أو الزنزانة ..

و بعد : فها هي ذى الكلمة لها مغزاها العميق قالها الأستاذ « دى جويو »
« لقد نسج الشيوعيون نظرية في النزعة سموها تعويض المخربين ». .
وأما بعد ، أيها القارئ الكريم :

هل فكرت في قوله تعالى :

« وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » ؟

[آل عمران : ١٠١]

وهل فكرت في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« والله لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » ؟

وهل فكرت في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لقد تركت فيكم ما إن تمكتم به لن تضلوا بعدى أبداً : كتاب الله ورسلي » ؟

ثم .. أما بعد :

يقول الله تعالى :

« الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ،
وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » .

[المائدة : ٣]

صدق الله العظيم ، ويبلغ ز قوله الكريم ، وأنا على ذلك من الشاهدين .

« وَمَا تَوَفَّيَ إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ » .



فهرس

صفحة

٧ مقدمة

الفصل الأول :

١١ أبو ذر والشيوخية من زاوية العقيدة

الفصل الثاني :

١٩ الزاهد

الفصل الثالث :

- | | | |
|----|-----------|--|
| ٤٦ | | أبو ذر والنظام المالي في الإسلام |
| ٣١ | | ١ - عن الموقف الإسلامي |
| ٣٩ | | ٢ - المجتمع الإسلامي والمال |
| ٣٩ | | * عبد الرحمن بن عوف |
| ٤٢ | | * أبو عبيدة بن الجراح |
| ٤٦ | | ٣ - قواعد ظهر المال |
| ٥٠ | | * المعانى الإنسانية في الزكاة |
| ٥٣ | | * الصدقة |
| ٥٧ | | * الإيمان والإإنفاق في سبيل الله |

الصفحة

٦٠	٤ - الربا.
٦٥	٥ - قارون

الفصل الرابع :

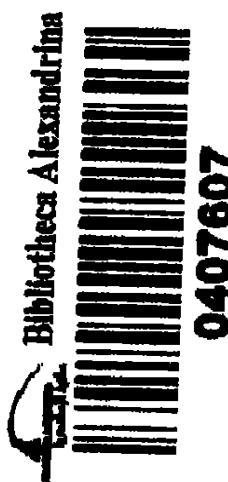
٧٣	زاوية الأخلاق
٧٩	شوعية
٨٣	



تم إيداع هذا المصنف بدار الكتب والوثائق القومية
تحت رقم ١٩٧٥/٥١٩٣
١٩٧٥ مطابع دار المعارف بمنصورة -
١/٧٥/٢٧٥

هذا الكتاب

تصوير لشخصية أبي ذر وآرائه في العقيدة ، والنظام المالي ،
والأخلاق ، ومقارنته ذلك كله بمثل هذه النظم في الشيوعية ،
وبيان أن لا صلة مطلقاً بين آراء أبي ذر ، والآراء الشيوعية ،
 وأن الفرق بينهما هو الفرق بين الكفر والإيمان ، مستندًا في كل
ذلك إلى أوثق المصادر سواء أكان ذلك بالنسبة إلى الشيوعية
أم بالنسبة إلى أبي ذر رضي الله عنه . وهو تصحيح لكل ما زُيف
على أبي ذر من ادعاءات .



To: www.al-mostafa.com